السنة الثانية والعشرون   العدد ٩   ايلول   ١٩٢٤

المشرق

شهيد الوحدة الكنسية

في الاقطار الصقلبية

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

وقع في ١٢ تشرين الثاني من السنة الماضية تذكار المئة الثالثة لاستشهاد احد جهابذة الكنيسة الشرقيَّة الصقلبيَّة القديس يوشافاط الراهب الباسيلي ورئيس اساقفة پولوسك. فبهذه المناسبة اصدر الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر براءة وجَّهها إلى سائر المعمور الكاثوليكي ذكر فيها خلاصة اعمال ذلك البطل المقدام الذي ضحَّى حياتهُ في سبيل الوحدة الكنسيَّة فكان دمهُ زريعة نامية ثبَّتت قسماً كبيراً من الشعب الصقلبيّ الشرقي في طاعة الكرسي الرسولي في القرنين السابع عشر والثامن عشر بل صبرت على عهد قياصرة روسيَّة على كلّ ما اصابها من الاضطهادات وهي لا تزال كحبَّة الحنطة التي ذكرها السيد المسيح والتي اذا ماتت تأتي بثمر كثير

وهذا الأمل الصالح هو الذي دعا الطيّب الذكر البابا بيوس التاسع الى تثبيت قداسة القديس يوشافاط سنة ١٨٦٨ . والبابا لاون الثالث عشر الى تمجيد رسولَي الصقالبة القديسين كيرلُس ومثوديوس باقامة عيد سنوي لذكرهما في الكنيسة اللاتينيَّة . والبابا بيوس الحادي عشر المالك سعيداً اليوم الى الاحتفال بيوبيل استشهاد القديس يوشافاط المئويّ . وهذا اليوبيل يتناول سنة كاملة فينتهي في ١٢ تشرين الثاني من السنة الحاليَّة وقد اقيمت ولا تزال مواسم بهجة في رومية وپولونية احتفاءً بذكره . فرأينا

ان ندوّن على صفحات الشرق خلاصة اعمال ووفاة ذلك الرجل الفريد الذي شرّف وطنه باستشهادهِ وهو اوّل شرقيّ اعلنت الكنيسة الرومانيّة رسميًا قداستهُ وفرضت على ابنائها ذكر عيدهِ السنويّ

نظر في احوال پولونية في القرن السادس عشر

بلغت پولونية في اواسط القرن السادس عشر اوج مجدها فانَّ موقعها في حدود اوربَّة المركزيَّة وفي جوار الممالك البوزنطيَّة بين التمدُّنين الغربي والشرقي اناها مقاماً فريدًا فجعلها كالحلقة الذهبيَّة توصل بين عناصر متباينة اصلًا ولغةً واخلاقاً لكنَّها منتدبة في نظر الله الى الاتحاد والتآخي وذلك بهمَّة الشعب الپولوني الجامع في دمهِ مزايا القطبَين

وكانت پولونية منذ خمسة اجيال سائرة في خطَّة مستقيمة ساسها اوَّلًا ملوك من العنصر المجري ذوو عدل وشهامة (٩٦٤—١٣٧٠) ثمَّ خلفتهم سلالة جاجلُّون الوطنيَّة (١٣٧٠—١٥٧٢) فأولتهم من العزّ والمفاخر ما جعلهم في مقدَّمة الدول. فبينما كانت روسيَّة إمارةً منزوية في اطراف البلاد والمملكة البوزنطيَّة تزيد كلَّ يوم ضعفاً وفشلًا كان ملوك پولونية رافعين لواء الدين الكاثوليكي خاضعين لامام الاحبار واقفين بالمرصاد للبدع ليكفُّوا عن بلادهم شرورها. وقد امتاز بينهم بالصلاح والبر ملوكٌ نظمتهم الكنيسة في عداد اوليائها كالقديسين لادسلاس وكازمير

على انَّ الشعب الپولوني مع وحدة عنصرهِ ودينهِ الكاثوليكي كان منقسماً الى قسمين يكادان يتساويان عددًا ويتبعان طقسين مختلفين نريد بهما الطقس اللاتيني والطقس الشرقي كان لكل منهما كنائسهُ واكليروسهُ ورتبهُ الخاصَّة

وكان سبب هذا الخلاف قد نشأ منذ ظهور النصرانيَّة في تلك البلاد فان دعاتها اتوها في وقت واحد من جهة القسطنطينيَّة ومن جهة رومية وكان المبشران من جهة بطريرك القسطنطينيَّة القديسَين كيرلس وميثوديوس نصَّرا قسماً كبيرًا من اهل پولونية وبرخصة الحبرين الرومانيَّين ادريان ويوحنَّا اشاعا بينهم الطقس البوزنطيّ منقولًا الى اللغة الصقلبيَّة الوطنيَّة على خلاف مَن نصَّرهم من دُعاة رومية فانهم تشبَّثوا باللغة اللاتينيَّة وبالطقوس الرومانيَّة وكان ملوك پولونية من جملتهم وبمساعيهم انضمَّ قسمٌ كبير من اهل

ليتوانية الى الكنيسة اللاتينيَّة في القرن الرابع عشر

وقد بقي الاتفاق ووحدة الايمان بين اصحاب الطقسين زمناً طويلًا لولا انَّ بطاركة القسطنطينيَّة أَلَا نشروا راية العصيان على خلفاء هامة الرسل اخذوا يفرغون جهدهم في فصل الكنائس ذات الطقس الشرقي عن مركز الوحدة . على انَّ ملوك بولونية اخذوا حذرهم من ارباب الفساد وصانوا رعاياهم من الشقاق الى ان انقرضت الدولة الجاجِلُّونيَّة بوفاة سجسمندس الثاني سنة ١٥٧٢ فصارت امور الدولة في عهدة امير ترنسلفانية اتيان باتوري (١٥٧٥—١٥٧٨) الذي احسن التدبير كسلفائهِ واحترز من دسائس اليونان الى ان قامت بعده ُ دولة ٌ اسوجيَّة مشبوهة يميلها الى المذهب البروتستاني فانتهز الروم والبروتستانت هذه الفرصة ليتسرَّبوا في انحاء بولونية ويزرعوا في الشعب بذور تعاليمهم . لكنَّ الاكليروس اللاتيني ورهبانهُ تصدُّوا لهم وردُّوهم خائبين عن القسم الخاضع لسلطتهم بخلاف التابعين للطقس الشرقي فانَّ روَّاد البطريرك القسطنطيني اندفعوا بينهم كالسيل الجارف واخذوا يصوّرون لهم الطاعة للحبر الروماني كجحودٍ لدين اجدادهم ويسومون الطقس اللاتيني خسفاً . وممَّن بهم البطريركان ارميا القسطنطيني ثمَّ يواكيم الانطاكي وغيرهما فجمعوا منهم الحسنات وبغَّضوهم الى تبعة الطقس الغربي حتى قامت بينهم المنازعات والمشاحنات على ساقٍ . وكان البروتستانت الوطنيين يعضدون الشرقيين الذين استنجدوا بالقوزاق وهم جيلٌ من الهمج ممَّن اعتادوا النهب والسلب وسفك الدماء

لكنَّ الله لم يهمل كنيستهُ فاقام بعض رجال الصلاح الذين دافعوا عن الايمان وردُّوا كثيرين من الضالين الى حظيرة الايمان وأثبتوا لهم صحَّة معتقد اجدادهم القديسين الذين لم يجدوا في الطقوس الشرقيَّة ما يبعدهم عن الرضوخ لأحكام الكرسي الروماني المقدَّس . وقد امضى نوَّاب كنيستهم الصقليَّة على صك الاتحاد في المجمع الفلورنتيني فجرى بموجبهِ اهل بولونية دون معارض

ومن هؤلاء المحامين القديس يوشافاط الذي نحن بصددهِ اختارهُ الله ليكون ركناً للاتحاد فيثبتهُ بقداسة حياتهِ ثمَّ بسفك دمهِ الكريم

حداثة القديس يوشافاط

وُلد يوشافاط في ڤلاديمير حاضرة ايالة ڤولينية من معاملات بولونية السنة ١٥٨٠

من اسرة كونتزيفتش الشريفة فدعي بالمعمودية يوحنَّا وكان ابواهُ غبريال وماريـنـا من ذوي التقى تابعين للطقس الشرقي الصقلبي خاضعين بسذاجة لكل رسومهِ. وجدت امهُ قلب طفلها مائلًا منذ نعومة اظفاره الى محبة ربهِ فبذرت فيهِ الزرع الجيد الـذي لم يفسدهُ زؤان العدوّ. واذ حملتهُ يومًا الى الكنيسة وقع نظرهُ على صورة المصلوب فطلب الولد معناها فكشفت لهُ سرّ فـداء البشر واذا بسهم ناري خرج من قلب المخلص ونفذ في صدرهِ فاضطرم فؤادهُ منذ ذاك حبًا نحو فـاديهِ ووَدَّ لو يهرق هو ايضًا دمهُ في سبيلهِ. ولمَّا ترعرع اخذ يتردَّد الى بيت الله فيقضي فيهِ الساعـات دون سأم ثمَّ تعلَّم كل رتب وفرائض الكنيسة الصقلبيَّة فجعل يتلوها كل يوم بزيد الحرارة. واوحى اليهِ الله شرف الطهارة فرعاها بكل حرص وحاد عن كل ملاهي الاحداث لئلَّا تشوه نفسهُ شائبةٌ ما ونذر امام هيكل العذراء نذر العفَّة الدائمة فاصبح بكل سيرتهِ قدوةً لرفاقهِ بل للكهول والشيوخ الذين كانوا يأتون الكنيسة ليمتّعوا نظرهم بورعهِ وتقاهُ

وكان احد الاساقفة قد فتح في موطنهِ مدرسة كبيرة فتخرَّج فيهـا على آداب بلاده وأتقن أصول لغتهِ الصقلبيَّة حتى برع فيها فشهد لهُ اساتذتهُ برقيهِ في العلوم كما اعلنوا بكمالهِ في الفضيلة. فسُرَّ اهلهُ بنجاحهِ وقصدوا ان يستعينوا بهِ لتجارتهم فارسلوه الى مدينة ڤلنا عاصمة البلاد الى احد كبار المتاجرين ليتقن في محلّهِ المعاملات التجارية

فلقي المدينة عند وصولهِ في ارتباك واختلاط قد قام على الصقالبة المتَّحدين قوم من الاكليروس الوطني والرومي يناصرهم بعض اعيان البلد غـايتهم ان يعزّزوا الحزب المنشقّ عن رومية ويستولوا على كنائسهم واهلهم. فلم يجسر احد ان يعارضهم حتى كاد ان يتمَّ لهم متمنَّاهم فنُجِّرت الكنائس وخُرقت حرمة الآداب وتعـدَّدت المظالم والمآثم التي عجز عن كبحها ارباب الامر

فبقي يوشافاط محتـارًا في امرهِ اذ لم يخامرهُ شكٌّ قبل ذلـك في صحَّة معتقدهِ فاتاهُ بعض الشبَّان وعرضوا عليهِ الانتماء الى الحزب الثائر على السلطة البابويَّة فوعدهم بان يجيبهم بعد فحص الامر على ما يلهمهُ ضميرهُ فلمَّا التجأ الى الصلاة انار الله عقلهُ وشعر انهُ مدعوٌّ بالهام الهي الى توثيق عرى الاتحاد بين الكنيسة الصقلبيَّة المعروفـة ايضًا بالروثنيَّة والكنيسة الرومانيَّة. فردَّ دعوة اولئك الاغرار وقصد المدرسة الجامعة

التي كان الآباء اليسوعيون شيدوها في ثلنا واجتمع ببعض رهبانها وعلى الخصوص برجلين من افاضلها الاب فبريسي والاب غروزوفسكي طلب منهما ان يرشداه الى ما يفيده الدفاع عن الايمان الكاثوليكي فوجد فيهما خير مساعد على تحقيق نياته الشريفة فدرس عليهما الفلسفة واوقفاه على ما كتبه الآباء اليونان وما ورد في المجامع والتواريخ عن وحدة الكنيسة ورئاسة الحبر الروماني

فشكر يوحنا معلميه وعرف ما للرهبانية اليسوعية من الفضل على بلاده فاحبها حباً عظيماً الى آخر نفس من حياته وكان يلتجئ الى ابنائها في سائر اموره لاسيما عند ما رأى غيرتهم على حفظ الطقوس الشرقية واهتمامهم بترقية المنتمين اليها وبنهضة اكليروسها من خموله والحطاطه. وممن اشتهروا بينهم في خدمة البولونيين الشرقيين امير خطباء وطنه الاب بطرس سكارغا الذائع الشهرة والاب انطون بوسفين سفير الحبر الاعظم الى قياصرة روسية

وكان مطروبوليت كياف يدعى هيباس بوسيه رجلاً مرتداً عن البروتستانية كبير الهمة في حفظ الاتحاد بين كنيسة بولونية الشرقية والكنيسة الرومانية الجامعة الا ان ما كان يجده من المقاومة في الاعيان وفي قسم من الاكليرس كان يثبط عزمه ويعرقل مساعيه فسر بما رآه في يوحنا من الاستعداد لخدمة الاتحاد. ومثله بندكتس ثوينا اسقف ثلنا الذي عرف يوحنا الشاب وقدر قدره

وكذلك كان يوحنا يتردد على رئيس المدرسة اليونانية في ثلنا سميه يوحنا روتسكي وعلى احد مشاهير اساتذتها بطرس اركوديوس وكلاهما من تلامذة اليسوعيين في رومية يتلهبان غيرة على حفظ الطقس الصقلبي مرتبطاً مع مركز الوحدة الرومانية. فكان المترجم يبحث معهما عن خلاص الكنيسة الروثنية من مخالب المنشقين والخوارج وكان اول ما اتفقوا عليه وجوب اصلاح الرهبانية الباسيلية في بولونية اذ كانت بلغت اسوأ حالة من الفتور ومال كثير من ابنائها الى الشقاق. الا ان هذا الامر كان يحتاج الى رجل صميم ذي قداسة سامية وعزيمة قعساء. فشعر يوحنا كونتزفتس ان الله داعيه الى هذه المهمة وعرض فكره على مرشديه وعلى المطروبوليت فعرفوا ان هناك اصبع الله. ومن ساعته عزم على الزهد في الدنيا وما كان ينتظره فيها من الشرف والجاه العالمي وعدل الى الترهب بعد ان قرأ الوداع على

صاحب المحلّ التجاري الذي اجتهد عبثاً في إبقائهِ عندهُ ووعدهُ بثروة عظيمة

الراهب والمجاهد

تجرَّد يوحنا عن الازياء العالميَّة ودخل في دير الثالوث الاقدس القريب من ڤلنـا الذي كان مسكناً للرهبان الباسيليين فألبسهُ الثوب الرهباني المطروبوليت پوسيه وبدل اسمهُ يوحنا بيوشافاط فوجد الراهب الجديد في ديرهِ عدداً قليلاً من الرهبان يعيشون بالبذخ والهناء لا يفرقهم عن اهل العالم غير اسكيمهم وكان رئيسهم الارشمندريت صموئيل سبانكسيلو قليل الاهتمام برهبانه يُبطن البغض للاتحاد مع الكنيسة الرومانيَّة

فأحسَّ يوشافاط بما يتهدَّدهُ من المشقَّات والاضطهاد. فلم يتوقَّف على اتمام مقصودهِ فاختار لهُ في الدير غرفة صغيرة بل كوخاً حقيراً حبس نفسهُ فيهِ ملازماً مناجاة الله والدرس وضروب التقشف فلبس تحت الاسكيم مسحاً خشناً وتمنطق بسلسلةٍ حديديَّة مشوكة وجعل مثالهُ القديس باسيليوس منشئ رهبانيتهِ ليحفظ بكلّ دقَّة قانونهُ الصارم. وكان في حضورهِ الفرائض البيعيَّة اشبه بملاك منهُ ببشر

فما لبث ان انتشر خبرهُ في المدينة فكان القوم يطلبون زيارتهُ فلا يواجه منهم احداً الّا دعاهُ الى الله وحبَّب اليهِ الفضيلة ووصف لهُ فضل الانضمام الى الوحدة والطاعة لنائب المسيح وخلَف هامة الرسل. فكان لكلامهِ احسن وقع في القلوب وردَّ كثيرين الى حجر الكنيسة

ثم شعر بما تُسبّب لهُ هذه الزيارات من تشتيت الفكر فانتقل الى حجرة اخرى في طرف الدير لزم فيها العزلة التامَّة وكان لا يقبل الاجتماع الّا بصديقهِ جان روتسكي يفاوضهُ في كلّ امور نفسهِ ويطلب معهُ دواء لداء وطنهِ. واخذ كذلك ينكبُّ على درس اللاهوت استعداداً للدرجة الكهنوتيَّة فاتَّخذ لهُ معلماً الاب فبريسي اليسوعي استاذه السابق فلقَّنهُ ذلك العلم تاماً فبرع فيهِ. على انَّ صيت يوشافاط في خلوتهِ المذكورة اتسع نطاقاً وزاد اريجُ فضيلتهِ انتشاراً لاسيما بعد ان تسرَّبت الى مسكنهِ فتاةٌ خليعة حاولت بان تجتذبهُ الى الاثم فردَّها يوشافاط خاسئةً خجلة

قضى القديس سنتين في محبسهِ متحايداً عن الرهبان المنشقّين لا يجتمع بهم الّا

في تلاوة الصلوات الطقسيَّة والفرائض الكنسيَّة وهو يطلب منهُ تعالى ان يلهمهُ طريقة لإصلاح ذلك الدير. فأصغى الله الى دعوتهِ بان جذب صديقهُ يوحنَّا روتسكي الى الترهُّب في ديرهِ فألبسهُ السيد يوسبه الثوب الرهباني باحتفال عظيم في كنيسة الثالوث الاقدس في ٦ ايلول ١٦٠٧ ثمَّ نذر في غرَّة السنة ١٦٠٨ ودعا اسمهُ يوسف. فكان لترهُّبهِ شأن عظيم في كلّ انحاء المدينة لِما يعرفونهُ من عظم ثروتهِ وثاقب فهمهِ ووفرة علومهِ. أمَّا يوشافاط فتهلَّل طرباً اذ وجد فيهِ خير عضدٍ في تحقيق نيَّاتهِ البارَّة بخلاف الارشمندريت والرهبان مشايعيهِ فانَّهم تحققوا بان نجمهم قد أفل بطلوع هذا البدر التمّ الذي يفوقهم بعلمهِ وفضيلتهِ ونفوذهِ لدى اهل المملكة

وما لبث بعض شبَّان المدينة ان طلبوا الترهُّب على مثال يوشافاط ويوسف روتسكي وشاركوهما في سيرتها الفاضلة فبلغ عددهم اثني عشر حتى ضاقت بعد قليل عن ضمّهم قلالي الدير فضلاً عن أنَّ قسماً منها كان قد استولى عليهِ الخراب بتهاون رئيسهِ ورهبانهِ القدماء. فتولَّى يوسف روتسكي ترميمها بمالهِ الخاص وبحسنات جمعها من معارفهِ واعيان المدينة واسقفها الفاضل الذي سُرَّ بهذه النهضة ايَّ سرور. وبعد زمن قليل أصبح الدير عامراً زاهياً بكثرة الرهبان تقام في كنيستهِ رتب البيعة الشرقيَّة بمزيد البهاء والرونق والشعب يتقاطر الى حضورها بكل شوقٍ ورغبةٍ. ثم سيم روتسكي كاهناً فضاعف نشاطهُ في خدمة اخوتهِ وممارسة كل الفضائل الرهبانيَّة. فكان مع يوشافاط كفرسي رهان يتسابقان في مباشرة كل اعمال الخير وبقداسة سيرتها المفردة والاجتماعيَّة على مثال قدماء النسَّاك فكان الشعب يباركها ويشكر الله على ما يعاينهُ من صلاحهما

فلمَّا رأى الشاقُّون ان حزبهم آل الى الاضمحلال بسبب هؤلاء المصلحين تنمَّروا غيظاً وتآمروا مع الارشمندريت صموئيل ومشايعيهِ على يوشافاط وروتسكي وطلبتهم لينفوهم من الدير فيجعلوهُ في قبضة حزبهم. فعهد الرئيس الى يوسف روتسكي بمهمَّة في مدينة بعيدة وحاول في غيبتهِ ان يجتذب الى حزبهِ المخالف الراهبَ يوشافاط فدعوهُ الى مكان منفرد وأقفلوا وراءهُ الباب وألحُّوا عليهِ بان ينضمَّ الى حزبهم فينبذ الطاعة للكرسيّ الروماني فأبى القديس كلَّ الإباء. فاهانوهُ ولطمهُ الرئيس على وجههِ فاحتمل بصبرٍ كل الاهانات اقتداء بالمصلوب ولم يفلت من يدهم

الّا بوعدهِ لهم انّهُ سيفحص الامر أمام الله ويجيبهم حسب إلهامهِ تعالى . وكان في اثناء ذلك خبر اهانات يوشافاط نمى الى روتسكي فعاد مسرعاً الى الدير ثمَّ بلّغ المطروبوليت بوسيه ما فعلهُ الارشمندريت فعزلهُ من رئاستهِ واقام يوسف روتسكي في مكانهِ

فحدث ولا حرج بما اثار هذا الفعل العادل في قلب صموئيل من الشحناء والبغض فاجتمع بمحازبيهِ وتآمروا على الروثانيين الكاثوليك وقبل كلّ على زعمائهم اي المطروبوليت بوسيه والارشمندريت روتسكي والشمّاس يوشافاط وسيّروا الى كلّ الانحاء انصارهم ليهيّجوا الشعب على السعاة بالاتحاد مع رومية ونشروا الالوف والربوات من النشرات الكاذبة في حقّهم فصوّروهم كاعداء وطنهم وجحدة دينهم ورشوا بالدرهم الرنان كثيرين من القضاة والمندوبين الى المجلس الملكي الاعلى وعلى الاخصّ بعثوا الحقد في قلوب الكهنة العلمانيين فاصبحت البلاد كبركانٍ من النار او كأتون متّقد فحار عمّال الدولة في امرهم وتخوّفوا من حرب اهليّة تقع بين ابناء الوطن . فسعى الملك سجسمند الثالث بتخميد اطماعهم واطفاء جمرتهم فلم يزيدوا الّا شراسةً واغتصبوا كنائس المتّحدين وكادوا يفوزون بكل رغائبهم لولا ان المطروبوليت بوسيه لم يدّخر شيئاً من قواهُ للدفاع عن قومهِ وكشف حقائق الامور التي شوّهها باراجيفهم اصحاب الاغراض . فما كان منهم الّا ان دسّوا رجلاً من ذويهم ليغتال المطروبوليت ويقتلهُ فانخدع بقولهم وفتك برئيس الاساقفة وهو راجع الى كنيستهِ فكاد يعدمهُ الحياة لولا نعمة من الله الذي نجّاهُ من سيف ذلك الشقي . وانّما قطع لهُ بعض اصابعهِ وجرحهُ جرحاً خفيفاً في عنقهِ فوقع مغشيّاً عليهِ ولمّا افاق غفر لقاتلهِ وقدّم لله دمهُ لخلاص رعيّتهِ

فوقعت هذه الجناية اسوأ وقع في قلوب البولونيين حتى المعادين للمطروبوليت والحزب الكاثوليكي وعرف الجميع من حرّك الى هذا الاثم الفظيع يد ذلك الشرير فكبّل الجاني بالاغلال وحكم عليهِ الملك بالإعدام فاسرع الى حبسهِ يوشافاط ليستتيبهُ فباء الرجل باثمهِ ومات نادماً على جريمتهِ . واندرأ الشعب كبيرهم وصغيرهم على المصلحين اذ عرفوا برارتهم وخباثة اعدائهم فعاد السلام الى نصابهِ واستولى الروثانيّون الكاثوليك على كنائسهم دون مخالف

الكاهن ومختطف النفوس

رأى المطروبوليت يوسيه انَّ السنين قد اثقلت كاهلهُ فاختار برخصة الحبر الروماني يوسف روتسكي نائباً عنهُ وابقاهُ على رئاسة دير الثالوث الاقدس لتهذيب رهبانهِ . ثمَّ استدعى رفيقهُ يوشافاط فرسمهُ كاهناً ليقوم في مدينة ڤلنا باعمال الوظيفة الكهنوتيَّة . فما نال المذكور هذه الرتبة حتى كلَّف نفسهُ قضاء كلّ واجباتها

وكان الكهنوت في ذلك الحين قد ذلَّ وحقر في اعين الشعب لان الكهنة كانوا اميّين مرتبطين بالزواج لا يفكرون في شيء الّا في معاشهم وعيالهم فكانوا لا يقدّمون الذبيحة الّا نادراً ولا يهتمّون بتوزيع الاسرار الّا لمن يدفع لهم اجرة عملهم . امّا الوعظ وارشاد الشعب فيجهلونها تماماً

فنصب يوشافاط نفسهُ مثالاً لكاهن الله واخذ يقدّم الذبيحة الالهية كلّ صباح بتقوى عجيبة كانت تؤثّر في نفوس الحضور وقد شهدوا غير مرّةٍ انهم رأوا فوق كأسهِ صورة الطفل الالهي مجسّماً وعن يمينهِ ملاكاً يخدمهُ . فذاع في كلّ المدينة ذكر قداستهِ واقبل اليهِ الجمهور يلتمسون الاسرار المهملة قبلهم . فكان يوشافاط يجلس الساعات الطوال في منبر التوبة بلا ملَلٍ ولا سأم . وما كان ينتظر فقط الخطأة ليأتوا اليه بل كان يذهب اليهم فلا يخرج من عندهم الّا وقد صالحهم مع ربّهم بالتوبة النصوح . وكان اذا وهب لهُ احدهم هبةً ما اجرةً على تعبهِ رفضها رفضاً باتّاً بل كثيراً ما كان يُسعف الفقراء بما لديهِ من المال فأطنب الجميع على تجرُّدهِ ونزاهتهِ

وكان يوشافاط لا يدع فرصةً لتعليم الشعب الحقائق الدينيَّة فكان يخطب فيهم باللغة الصقليبيَّة ببلاغة تحيك في الصدور وتُسيل الدموع حتى انَّ كثيرين اكّدوا بعد موتهِ انَّ الروح الالهي كان ينطق بلسانهِ فلا يستطيع سامعهُ الّا الرضوخ لكلامهِ . وربَّما كان يأتيهِ اعداء الكنيسة من منشقّين وبروتستانت ليجادلوهُ فكان يردّ بكمال تؤدة وبالحجج القاطعة على اعتراضاتهم فربح كثيرين منهم للوحدة الرومانيَّة ومن ثمَّ دعاهُ الكاثوليك رسول الصقالبة امّا اعداؤهم فلقّبوهُ بمختطف النفوس . وممَّن ارتدّوا على يدهِ اغناطيوس بطريرك موسكو الروسي كان نفاهُ منها ارباب الثورة سنة ١٦١٠ فرحّب بهِ ملك پولونية فطلب ان يسكن في دير الثالوث الاقدس حيث كان

يوشافاط مقيماً ولما آنسهُ واختبر برارتهُ أعلن باغرانه تعلّقهُ بالكرسي الرسولي وردّ بمثاله عدداً غفيراً من اهل الشقاق الى الاتحاد مع رومية. ومات بعد زمن قليل ودُفن بكلّ اكرام في دير الثالوث

وكذلك أنار يوشافاط عقل شابٍ آخر يوناني الاصل من سلالة ملوك الروم المسمّى عمّنوئيل قنطقوزان فعرف الحقّ وتعلّق بيوشافاط مرشدهِ الى موتهِ

الارشمندريت

وفي اوائل سنة ١٦١٣ فكّر مطروبوليت كياف هيپاس پوسيه في ان ينشر الاصلاح الرهباني في مدنٍ غير ڤلنا وكان بعض امراء پولونية الصقالبة المرتدّين الى الكثلكة يرغبون في ذلك ويقدّمون المساكن اللائقة لهذه الغاية فامر المطروبوليت الجديد صديقهُ يوشافاط ان يقوم بهذه المهنة. فاجاب الى امر رئيسهِ وثبّت اوّلاً دعائم الاصلاح في دير للراهبات في ڤلنا ثم سار الى انحاء ليتوانية في معاملة نوڤوغوردك فشيّد ديراً قريباً من بيتين صار بعد زمن قليل بَيْتَة ومعقلاً للاصلاح وكان بقرب الدير كنيسة صغيرة عريقة في القدم استولى عليها الخراب فيها صورة عجائبيّة للعذراء فرمّمها القديس ووسّعها واقام فيها مذبحاً جليلاً للصورة فجدّد ذكرها في تلك الاصقاع واخذ عبّاد البتول يكرمونها وينالون نعمها كما كانت في سالف الزمان اذ يقصدها ملوك پولونية ويستشفعون بها. وقد ارسل البابا بندكتوس الثالث عشر اكليلاً من الذهب توّج به هامتها

وفي تلك الاثناء استأثر الله بعبدهِ هيپاس پوسيه رئيس اساقفة كياف في رائحة القداسة بعد ان جاهد خير جهاد في خدمة الكنيسة الصقلبيّة المتّحدة فانتدب الكرسي الرسولي نائبهُ يوسف روتسكي ليرأس في پولونية ذوي الطقس الشرقيّ الكاثوليكيّ فكان خير خلف لخير سَلَف. فوجّه الى يوشافاط ورفعهُ الى رتبة الارشمندريت ليخلفهُ في دير الثالوث في ڤلنا. فعاد اليه سنة ١٦١٤ وترأس على رهبانهِ الذين كان بلغ عددهم الستين بعد الاصلاح

قضى يوشافاط اربع سنين في رئاستهِ على دير الثالوث في ڤلنا بصفة ارشمندريت مارس فيها كلّ اعمال البرّ فكان بين تلاميذه على مثال السيد المسيح بين رسلهِ

كصغيرهم وخادمهم يخصهم بمثله اكثر منه باوامره يهتم بكل واحد منهم اهتمام الاب بابنائه ولا يخص نفسهُ الّا باحقر الملابس واشظف العيش ممتنعاً عن اكل اللحم وشرب الخمر ومداوماً على لبس المسوح وقمع جسده بالمجالد والنوم على الحضيض واحياء الليل بالصلاة. وكان مع فقره لا يردّ مسكيناً حتى فرغ الدير غير مرة من المؤونة فكان القديس بصلاته ينال من الله بوسائط عجيبة ما يقيت به رهبانهُ فتأتيهم الحسنات والمأكولات بغتةً من حيث لا يدرون. وقد اخبر اصحاب البرّ انّ القديس كان يتراءى لهم في المنام ويعلمهم بضيق رهبانه فيسرعون الى مساعدتهم

ومن غريب ما حدث في أيام ارشيمندريّة يوشافاط انّ الابالسة خزاهم الله حاولوا إرهابهُ كما فعلوا قبلهُ بالقديس انطونيوس الكبير فكانوا يظهرون لهُ باشكال مخيفة فيبدّد القديس شملهم باشارة الصليب. ودخلوا الكنيسة ليلةً بجلبة عظيمة وصراخ وتجاديف فظيعة على هيئة مسوخ وحيوانات ضارية يسحبون وراءهم شبحاً هائلاً ملتهباً وزعزعوا جدران الدير كأنَّهُ زلزال حدث فارتعدت فرائص الرهبان ولم يمكنهم ان يكحلوا عينهم بالرقاد حتى توارى الابالسة عند الصباح وعادوا الى فعلهم هذا مدةّ أيام متوالية فاحتار القديس في امرهم لكنَّهُ اخذ معهُ احد رهبانه واحيا الليل في الصلاة والسجود للقربان حتى اذا كان منتصف الليل رأى ذاك الجرق الجهنّمي يكرّر ضجّتهُ وتهاويلهُ السابقة ويتهدّدهُ ورفيقهُ بالموت الّا ان القديس لم يُرهبهُ هذا المشهد المخيف بل اخذ القربان وجرى به نحوهم فزاد صراخهم وعظم تهويلهم وفرّوا هاربين امامهُ حتى خرجوا من الكنيسة واندفعوا الى المقبرة ورموا في حفرة هناك الشبح الذي كان معهم وتواروا عن العيان. ففي صباح النهار سأل القديس من هو المقبور هناك فقيل لهُ انهُ رجل اثيم مات بلا توبة فنُقلت رفاتهُ الى مكان بعيد ورجع الهدوّ الى الدير واصحابه

وفي تلك الحقبة تعدّدت اديرة الباسيليين المُصلحة بفضل عدّة رهبان عريقين في الصلاح والروح الرهباني خرجوا من دير ڤلنا وأسسوا اديرة في انحاء البلاد فكان مثلهم يحيي الدين والتقى حيثما يحلّون ويدعون الجماهير الى الوحدة مع ام الكنائس البيعة الرومانيّة. وكان اليسوعيّون عادةً يتولّون تهذيب الناشئة الرهبانيّة الباسيليّة ثم يرسلونهم الى انشاء اديرة جديدة بموجب قوانين الاصلاح التي اتّفق سنة ١٦١٧ على

وضعها المطروبوليت روتسكي ويوشافاط بمساعدة بعض الممثلين الكرسي الرسولي

يوشافاط رئيس اساقفة پولوسك (١٦١٨—١٦٢٣)

كانت پولوسك احدى حواضر بلاد ليتوانية الكبرى فرأى المطروبوليت روتسكي أنها في حاجة الى راعٍ غيور يبثُّ فيها روح الدين ويطفئ جمرة المتمرّدين على السلطة الكنسيَّة باغراء البطريرك القسطنطيني ومناصريهِ فلم يجد رجلًا احقّ برتبة الاسقفيَّة فيها من يوشافاط ففرض الامر عليهِ ألّا ان القديس لتواضعهِ لم يرضَ بذلك الشرف حتى احتاج رئيسهُ ان يأمرهُ بحكم الطاعة ليغلبهُ على إبائهِ فلم يرَ بدًّا من الخضوع لمشيئة الله (٩ ك ٢ ١٦١٨)

مَن لنا ان نصف قديسنا في مقامهِ الجديد فانَّهُ وجد ابرشيَّتهُ في حالةٍ يُرثى لها لتهاون رُعاتها السابقين الذين اهملوا تدبيرها فدخل الذئاب في الحظيرة وافسدوا خرافها فاستفحل فيهم الشقاق والهرطقة. على انَّ سمعة يوشافاط واخبار اعمالهِ كانت ذاعت في پولوسك فهيَّأت القلوب لاستقبالهِ فتسابق الاهلون على اختلاف نزعاتهم لاكرامهِ وقد اجتهد عند دخولهِ بان يطيّب قلوب الصقالبة الوطنيين بأبهة الطقوس الشرقيَّة وبذلك افحم اعداء الكثلكة الزاعمين بانهُ أتى ليزيل تلك الطقوس الجليلة. وسعى بتحسين الكنيسة الكاتدرائيَّة وجدَّد ايقونسطاسها فأثر ذلك تأثيرًا حسنًا في ابناء ابرشيَّتهِ

وكان اوَّل ما صرف اليهِ همَّتهُ ان استدعى الرهبان الباسيليين من ذوي الاصلاح ثمَّ جمع كهنتهُ فوضع لهم قوانين لقداسة حياتهم ولتقديس رعاياهم وجعل لهم رواتب كافية لمعاشهم فاكتسب محبَّتهم. وكذلك استحفى عن احوال جميع مرؤوسيهِ ولاسيما الفقراء. فكان يسعف الجميع على قدر حاجتهم فينفق من اوقاف الكنيسة عليهم بسخاء. بل كان يعتبر مالهُ الخاص كملكهم فلا يصرف منهُ الَّا الزهيد على نفسهِ وعلى بعض اقاربهِ حتى لامهُ البعض عن تقتيرهِ فأجاب انَّ كل ما في يدهِ يعدُّهُ كوديعة مقدسة لا يجوز لهُ ان يعطيها لغير المعوزين والفقراء. واذ لم يجد يومًا ما يتصدَّق بهِ على ارملةٍ فقيرة اخذ الاموفوريون الاسقفي الثمين ورهنهُ ليساعدها

وكانت غيرتهُ على خلاص نفوس رعاياهُ اعظم منها على مساعدتهم المادّيَّة

فكان كالراعي الصالح لا يزال في طلب النعجة الضالّة الى ان يردَّها الى الحظيرة . ولم يخف ان ينزل في ميدان الجدال مع البروتستانت والصقالبة المعارضين لرومية ليكحل نظرهم بنور الايمان . وقد ألّف في الصقلبيّة تآليف عديدة ليوطّد العقائد الكاثوليكيَّة في اذهان الشاقّين منها سفرٌ جليلٌ في رئاسة الكرسي الروماني وزعامة القديس بطرس وبيّن ان الكنيستين الصقلبيَّة والروسيَّة كانتا في اصلهما متَّحدتين مع رومية ونقل الى الصقلبيَّة تعليم الطرباوي اليسوعي بطرس كانيزيوس

فكانت نتيجة اعماله هذه كلّها انَّ الروح الكاثوليكيَّة انتعشت في انحاء بلاد ليتوانية وان الروثنيين الصقالبة ادركوا ان ازدهار ملّتهم متوقّف على اتّحادهم مع مركز الايمان في رومية

الشهيد (١٦٢٣)

هذا وانَّ اعداء الكثلكة قد اصابهم باجتذاب القديس يوشافاط كثيرين من ذويهم الى الكنيسة البطرسيَّة نوعٌ من الخبَل والجنون فأقسموا انهم سينتقمون ولو بموته وكان اهل مدينة ڤيتبسك المجاورة لپولوسك اشدَّ بغضاً لهُ لما كان يبثّهُ فيهم المعادون للكثلكة من الضغينة وبالاخصّ بعض الرهبان الخوارج الذين كانوا اسرعوا واختاروا لهم اسقفاً من حزبهم يُدعى ملاتيوس سموتريسكي ليعارض الاسقف الشرعي . فعوَّل القديس على زيارة تلك المدينة الواقعة في ابرشيته

فلما بلغهم هذا الخبر حتى اضمروا لهُ الشرّ وعقدوا اجتماعاً سريّاً تآمروا فيهِ على قتلهِ اذا جاء الى مدينتهم . فلم تخفَ مكيدتهم على القديس بل كشفها الله لهُ بكل ظروفها واشار اليها بخطبهِ الى شعب پولوسك . فسعى كثيرون من اصحابهِ ان يعدلوا بهِ عن السفر الى ڤيتبسك فكان جوابهُ انهُ مستعدٌ لأن يسفك دمهُ لخلاص شعبهِ وان لا شيءَ يقدر ان يصدَّهُ عن زيارة رعاياه . ولما عرضوا عليهِ ان يأخذ فرقةً من الجند ليحرسوهُ في الحلّ والترحال لم يرضَ منهم احداً سوى بعض شمامستهِ للخدمة الدينيَّة وقبل سفرهِ عيَّن في الكنيسة مكاناً لقبرهِ لعلمهِ بقرب موتهِ

سافر يوشافاط الى ڤيتبسك في اواخر تشرين الاوَّل متمماً في سفرهِ كل فرائض الكنيسة كما في قلّايتهِ . فوصل اليها وقدم الشعب لاستقبالهِ فنزل في الدار الاسقفيَّة

بجوار كنيستهِ وقضى خمسة عشر يوماً لا يألو جهداً في اصلاح امور رعاياه وخدمتهم في كافة الاعمال الرسولية وردَّ كثيرين ممَّن كان اعداؤهُ غشُّوهم باكاذيبهم واجتذبهم الى الاتحاد بالكنيسة البطرسيَّة. فزاد بذلك حنق المعادين وارسلوا احد كهنتهم صباحَ مساء ليشتم القديس في دخولهِ الى الكنيسة وخروجهِ منها ويوشافاط ساكتٌ عنهُ الَّا انَّ خدمَهُ لم يطيقوا هذه الاهانات فأمسكوا ذالك الكاهن وحجزوهُ في غرفة هناك بغية سيّدهم ولمَّا عرف بفعلهم امرهم ان يطلقوا سبيلهُ الَّا انَّ المتآمرين جعلوا يصرخون ويصخبون ويولولون ودقُّوا اجراس المدينة فتألَّب الناس طالبين دم القديس واذ حاول بعض خدمهِ ان يدافعوا عنهُ وهو يصلي في الكنيسة ضربوهم وجرحوهم فقام القديس من صلاتهِ وتقدَّم الى اولئك القتلة وقال لهم بصوت لطيف: «لماذا تضربون اصحابي فان كنتم تطلبونني فها انذا امامكم». فما اتمَّ كلامهُ حتى وثبوا عليهِ وضربهُ واحد منهم بسيفهِ ضربة شديدة فلقت جمجمتهُ فسقط على الارض منادياً باسم يسوع. فتوالت عليهِ الضربات من كلِّ جانب حتى ضرَّجوهُ بالجراح وشوَّهوا جسدهُ الطاهر فاسلم الروح بين ايديهم ولمَّا جرَّدوهُ من ثيابهِ وجدوا المسح على جسمه فسحبوهُ الى النهر وعلَّقوا المسح في رجلهِ مثقلاً بحجارة ضخمة ورموهُ في مكان عميق ليرسب في قعرهِ ثمَّ عادوا ونهبوا كلَّ ما وجدوهُ في منزلهِ وفي الكنيسة وكان ذلك في صباح اليوم الثاني عشر من تشرين الثاني سنة ١٦٢٣

ومنذ موت القديس صدقت فيهِ كلمة الربِّ بان حبة القمح اذا ماتت اتت بثمر كثير فانَّ اهل فيتبسك بعد هذا الاثم الفظيع ادركوا قبحهُ واستولى عليهم الهلع وقد رأوا امرأةً منهم أُصيبت بالعمى التامّ لإهانتها لجسمهِ الطاهر. وظهرت في السماء سحبٌ قاتمة في وسطها عمود من النور نزل على بقايا الشهيد ورأى اهل پولوسك في الليلة التابعة لوفاة اسقفهم شبه صليبٍ منير من جهة فيتبسك لم يدروا معناهُ حتى اتاهم نبأ استشهادهِ. وصرخ طفل صغير عمرهُ سنتان: قد مات الاب! قد مات الاب! ولمَّا سألوهُ من هو ذالك الاب اجاب: هو باني الكنيسة. فعرفوا انهُ يريد رئيس اساقفتهم

وبقيت جثَّة القديس محجوبة في النهر الى أن اتى اهل پولوسك وطلبوها فبحثوا عنها لستَّة أيَّام مضت على وفاة القديس واذا بنور عجيب ظهر على وجه المياه فساروا

نحوهُ فوجدوا الجسم طافياً سليماً دون فساد مع المسح والحجارة في رجلهِ وانما كان اثر الجرح في رأسهِ باقياً والدم يقطر منهُ . فنُقل بكل اكرام موشحاً بالملابس الحبرية الى الكنيسة فعُرض فيها اياماً وكان اهل فيتبسك كقائد المنة والشعب حول صليب المسيح يقرعون صدورهم ندامةً ويذرفون الدموع على ما جنتهُ ايديهم . وكان وجه القديس بهياً كانهُ راقد يبسم لمن يأتي مقبّلاً رجليهِ ومنهُ تنبعث رائحة البخور

ثم نُقل الجسم بموكب عظيم الى بولوسك ودُفن كاحد اولياء الله في القبر الذي اعدّهُ لنفسهِ قبل سفرهِ . ولمّا انتشر في البلاد خبر موتهِ أجمع أهلها من اصحاب واعداء ويهود على برارتهِ وسموّ فضائلهِ وانهُ مات شهيد محبّتهِ للكنيسة الكاثوليكيّة . واضحى منذ ذاك قبرهُ مزاراً كان يحجّ اليهِ المؤمنون ولاسيما المنتمين الى الطقس الشرقيّ وقد ارتدّ بسبب استشهادهِ الوفٌ مؤلّفة من اعداء الاتحاد الى الطاعة للكرسي الرسولي فكان بموتهِ ابلغ منهُ في حياتهِ . ثمّ تعدّدت بشفاعتهِ الآيات الباهرة والمعجزات المختلفة فارسل الحبر الاعظم لجنةً تبحث رسمياً عن سيرة القديس وفضائلهِ وعجائبهِ فتحقّقوا ان يوشافاط يستحقّ ان ينظمَ في سلك الابرار فاثبتهُ البابا اوربانوس الثامن طوبوياً في ٣ ك ١ ١٦٤٣ ثمّ ظهرت على يدهِ كرامات جديدة منها عموميّة ومنها خصوصيّة تستغرق تفاصيلها مجلّداً ضخماً واخصّها انهُ ثبّت الاتحاد مع الكرسي الرسولي بين الروثانيين رغماً عن كل الاضطهادات . فاحبّ البابا بيوس التاسع ان يُعلن باسمهِ قدّيساً في عيد الرسولين بطرس وبولس في ٢٩ حزيران سنة ١٨٦٧ فجرت بتلك النسبة احتفالات عظيمة لا شبيه لها على الارض حضرها نحو الخمسمائة من البطاركة والمطارنة والاساقفة والوف من الكهنة والرهبان ومئات الوف من المؤمنين وتخصّص في كلّ سنة لذكر القديس الشهيد اليوم ١٢ من تشرين الثاني ليكرم في الكنيسة الجامعة

وفي هذه السنة اليوبيليّة اراد الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر ان يُعلن للشرقيين عموماً وللشعوب الصقالبة خصوصاً محبّة أمهم الكنيسة الرومانيّة فيزيد الكاثوليك منهم تشبّثاً بها ويتحقّق المنفصلون أنها لا تزال الامّ الرؤوف الفاتحة ذراعيها لمن خُدعوا باراجيف اعدائها ففرّوها جاهلين لإحساناتها ولديها وحدها يجدون النعمة والخلاص

الامير بشير الشهابي الكبير المعروف بالمالطي

بقلم الشيخ سليم خطّار الدحداح (تتمّة)

حكمهُ . عدلهُ . حبّهُ للشعراء والعلم (تابع)

قد أجمع معاصرو الامير بشير انهُ بعفافه المشهور ، بآدابه الشخصيَّة، باخلاقهِ، وشهامتهِ، لم يماثله احد في جبل لبنان لا في عهدهِ ولا قبلهُ كان وبقي الى اليوم منقطع النظير

وقد ارتفع شأن اللبناني وشأن المسيحي في ايّام حكمهِ. وتوصّل هو الى عزّ ومجدٍ لم ينلهما قبله وما نالهما بعده احد في لبنان . فلا عجب اذا احتشدت الشعراء في قصرهِ وترنّموا بمديحهِ ومديح ابنائهِ واحفادهِ. بعد ان كان يُلقى هو وسلفهُ في سجن عكّا صار حين توجّهِ اليها يلقى العساكر موفدةً الى ملاقاتهِ مع الموسيقى على مسافة ساعات من المدينة وتُطلق لهُ المدافع اجلالاً لقدومهِ ويخرج الوزير بالذات لاستقبالهِ

وقد كان وقورًا مهيباً ذا منظر جليل يدعو الناظر اليهِ الى الاعتبار والاحترام . كما وصفهُ الشاعر لامرتين — وكما افادني عنهُ المرحوم الشيخ الياس مرعي الدحداح وقد جاء بيت الدين خصيصاً سنة ١٨٣٩ ليشاهدهُ. ولمّا دخل على الصدر الاعظم العثماني في استنبول سنة ١٨٤٢ رأى فيهِ من الهيبة ما دعاهُ الى ان ينهض احتراماً لهُ وكلٌّ يعلم ان الصدر الاعظم وعلى الخصوص في ذلك الوقت لم يكن ليقف لاحدٍ من غير الوزراء ولاسيما ان كان الوافد مسيحيًا وبالاخصّ منفيًا

واعظم شهادة على عدالة الامير بشير انهُ بعد ان انزل بالاميرين سلمان وفارس سنة ١٨٢٥ ذلك العقاب الشديد الذي يستشهد بهِ اخصامه على همجيّتهِ دعاهما الى خدمتهِ وعهد اليهما بالوظائف فعُدَّت اعادتهما الى الوظائف دليلاً ساطعاً على اعتدالهِ

امّا مقدرتهُ السياسيَّة وتدبيرهُ للامور واتّفاق كلمة الدروز والمسيحيين على الرضى بحكمهِ وعدم الانقياد لغيرهِ فلننا عليهِ شاهد عياني وهو الشيخ مرعي الدحداح: كان هذا الشيخ مدبّرًا للامير عبّاس سنة ١٨٢٢ في غيبة الامير بشير في مصر فلما عاد الى

الحكم امر ابن اخيهِ عبدالله بسجنهِ في غزير ففرَّ الشيخ من السجن ولحق بالامراء الثائرين مع الشيخ بشير جنبلاط وقاتل معهم وبعد تشتُّت شملهم فرَّ هارباً الى حلب فرسيايا وعاش هناك معروفاً بعداوتهِ للامير. فبعد حوادث سنة ١٨٤٠ استدعاهُ الملك لويس فيليب ووزراؤه الى باريس واستطلعوا رأيه بخصوص لبنان فاجابهم: «لا تعود الراحة الى لبنان حتى يُعاد الامير بشير حاكماً على الجبل لأنهُ ما من احد سواهُ يمكنهُ استلام مقاليد الحكم بكل اقتدار ولا يتفق الدروز والنصارى على طاعة احد سواه فهو العادل القادر الوحيد الذي يحترمه الجميع» — هذه شهادة عدوٍّ صادق لو سقط في يد الامير لرفعهُ على الاعواد شنقاً! وقد تكفَّلت الحوادث التي تتابعت بين ١٨٤٠ و ١٨٦٠ باثبات شهادته

ثم لا يُخفى ان الشيخ طنوس الشدياق صاحب اخبار الاعيان في جبل لبنان كتب لمحةً عن الاسرة الشهابية تحت مراقبة الامير فارس سيد احمد المشار اليهِ سابقاً فكان يكتب اذن تحت نصّ خصم الامير بشير ومع هذا فانهُ عند ذكرهِ لوفاة الامير بشير قد خصَّهُ بوصفٍ قلّما يُنعَت بهِ كثير من كبار الرجال فقال ما حرفهُ: «كان (اي الامير بشير) كامل الصفات الحميدة. عاقلاً عادلاً حليماً شجاعاً فاضلاً كريماً ديّناً مهاباً شهماً يقظاً فطناً صادقاً رزيناً حزوماً جباراً فتّاكاً صبوراً غيوراً» فما رأيك بصفة «حليماً» يكتبها طنوس الشدياق بنصّ الامير فارس سيد احمد عن الامير بشير؟ أليست شهادة عدوّ واقرار واضح؟ والفضل ما شهدت بهِ الاعداء.

الخلاصة ان الامير بشير الثاني الكبير مع كل ما ارتكبهُ من الاغلاط وما نُسب اليهِ منها حقَّق في شخصهِ مثال الامير الكبير الذي اكسب اللبنانيين والموارنة اعظم فخر وسيبقى الى زمان طويل اعظم رجل اوجدهُ لبنان يليق بنا ان نشيد بذكرهِ ونفتخر بهِ دون سواه. ولا ارى ختاماً لهذه المقالة احسن من الابيات التي وردت في رثاء نظمهُ الشيخ ناصيف اليازجي في الامير سعيد خليل شهاب احد حفدة الامير وقد توفي فجأةً في بيروت ودفن في مقبرة المدوَّر سنة ١٨٥٧ فممّا جاء فيها في مديح الحفيد المتوفى وجدهِ الشهير واسرتهِ الشهابيَّة قولهُ:

أجلُّ بني الكرام اباً وجدّاً ... واكرمُ رهطهم عمّاً وخالا

كريمٌ من كريمٍ من كرامٍ ... بنوا في المجد اعمدةً طوالا

سليل امير لبنانَ المنادي — انا لبنانُ لماً ملتُ مالا
اذا قلتُ الاميرُ ولم تسمِّ — فلا يحتاج سامعُك السؤالا
سألنا تحت معنٍ عن نظيرٍ — لهُ هل قام فيه قال: لا لا
ستبكيه البلادُ ومَن عليها — الى ان تستعيض لهُ مثالا
وتحصي الناسُ ما فعلت يداهُ — ولكن بعد ان تحصي الرمالا

هذا هو الامير بشير درَّة الشهابيين فخر الموارنة واعظم رجال لبنان قاطبةً

اولاد الامير وسلالتهُ

نذكر هنا اتماماً للفائدة سلالة الامير الشهابي بشير الكبير . رُزق من زوجته الاولى الشهابية ثلاثة امراء ذكور . ومن السريَّة الشركسيَّة اميرتين فقط وهذه اسماؤهم :

١) الامير قاسم: مات منفيًا في زعفران بول سنة ١٨٤٦ وعمرهُ ٥٨ سنةً وهو والد الامير مجيد الذي كان مرشَّح فرنسة لحكومة لبنان سنة ١٨٦٠ . وسلالة الامير قاسم كثيرة الآن

٢) الامير خليل: كان رجل حرب توفي منفيًا في استنبول قبل ابيهِ سنة ١٨٥٠ ولهُ من العمر ٦٠ سنة ومن انجالهِ الامير سعيد الذي ذكرنا بعض ابيات الشيخ ناصيف في مديحهِ (١ . وحفيدهُ الوحيد الآن سعادة الامير فائق سعد شهاب الذي كان ناظر الامن العام في لبنان الكبير

٣) الامير امين : مات مسلماً في استنبول قبل ابيهِ ايضاً سنة ١٨٥٠ وكان عمره ٥٢ سنة ولم يترك نسلًا وكانت وفاة والدهم على اثر وفاة اولاده الامراء

٤) الاميرة سعدا : تزوَّجها الامير سليم شهاب حفيد حسن شقيق الامير وقد ماتت في الجيَّة من قضاء الشوف حوالي سنة ١٨٨٠ ولها حفيد واحد مقيم في بيروت

٥) الاميرة سعود : تزوَّجها الامير خليل بشير احمد ابي اللمع من برمَّانا وقد

١) وقد كان في عداد اولاد الامير خليل الامير سعود الذي تولَّى نظارة ساحة متصرفيَّة لبنان سنة ١٨٦٤ وتوفي سالماً في بيروت وحفيدهُ حاضرًا سعادة نجيب بك القبَّاني نائب رئاسة محكمة التمييز من افاضل رجال القضاء

توفيت في بيروت سنة ١٨٦٠ ودُفنت في قبة خاصة في مقبرة المدوّر وابنتها واحفادها اللمعيون مقيمون في انطلياس وفي جديدة بيروت

جدول

الحكّام من الامراء الشهابيين

١	الامير بشير الاول من راشيا	١٦٩٧—١٧٠٦	
٢	الامير حيدر من حاصبيا	١٧٠٦—١٧٣٢	
٣	الامير ملحم (بكر ابناء حيدر)	١٧٣٢—١٧٥٤	توفي ١٧٦١
٤	الاميران احمد ومنصور سوية	١٧٥٤—١٧٦٢	
٥	ثم منصور وحده	١٧٦٢—١٧٧٠	
٦	الامير يوسف ابن الامير ملحم	١٧٧٠—١٧٨٨	
٧	الامير بشير الثاني الكبير (١	١٧٨٨—١٨٤٠	
٨	الامير بشير قاسم الثالث	١٨٤٠—١٨٤١	

والامير بشير الثالث عزله والي ايالة صيدا المقيم في بيروت بحجّة ضعفه عن ادارة الاحكام وعلى اثر حادثة هجوم النكديين وسائر الدروز على دير القمر فحضر لبيروت ولمّا احتجّ للوالي على هذه المعاملة ارسله منفياً الى الاستانة. فاقام هناك بضع سنوات ثم مرض وفقد بصره فسمحت له الدولة بالرجوع الى الجبل فعاش اعمى في داره في بسِنِيه. وفي سنة ١٨٦٠ بينما كان منهزماً الى بيروت لحقه بعض الدروز في بساتين الحدَث وذبحوه واخذوا رأسه الى الشويفات وكان عمره ٨٥ سنة ولم يترك اولاداً ذكوراً وهو آخر الحكّام الشهابيين

ومن هذا الجدول يستدلّ القارىء الكريم على فائدة وجود أُسرة خاصّة للحكم فانّهُ في مدة الـ ١٤٤ سنة التي حكم فيها ثمانية امراء من آل شهاب على جبل لبنان

١) وقد نازعهُ الحكم الامير يوسف ثم الاميران حيدر ملحم وقعدان محمد ثم اولاد الامير يوسف وهم حسين وسعد الدين وسليم ثم الامير عباس اسعد ثم الامير سلمان سيد احمد . ثم الامير حسن علي وسلمان ذاته. ثم الامير عباس اسعد كما مرّ بك

تولّى ٦٨ والياً على ايالة الشام و ٨٤ والياً على حلب (وذلك دون احصاء سني الاحتلال المصري اي ١٣٠ سنة فقط) واذا اكتفينا بمقابلة مدة حكم الامير بشير الثاني وحده فاننا نجد في مدة الـ ٤٤ سنة من حكمه حتى في الاحتلال المصري اي من ١٢٠٣ الى ١٢٤٦ هجرية ٢٣ والياً في الشام و ١٨ والياً في حلب فتأمل !٠

ملحق

نظر اجمالي في احوال لبنان والاسرة الشهابيَّة بعد الامير بشير

بعد عزل الامير بشير قاسم شهاب الثالث المعروف بابي طحين اراد الاتراك اغتنام فرصة الحرب بين الدروز والموارنة ليبعدوا الشهابيين عن الوظائف فامر السرعسكر بعزلهم وعيّن عمر باشا النمسوي الاصل حاكماً على جبل لبنان. فساء هذا التعيين معظم سكّان الجبل واجتمع اعيان الدروز والموارنة وتشاور ذوو الاقطاع منهم في الامر فاخذ كل منهم يرشّح اميراً من آل شهاب وطلب بعضهم اعادة الامير بشير الثاني. وقد رشّح الشيخ منصور الدحداح الاميرَ يوسف سعد الدين حفيد الامير يوسف. لكنَّ اجتماعهم انفضَّ بلا جدوى

ثم طلب اهل الجبل من الدولة ان تطلق لهم الحرّية لانتخاب حاكمهم فتظاهرت الحكومة بمراعاتهم وقد اشتهر حينئذٍ المرحوم الشيخ رشيد الدحداح بمساعدته للبطريرك يوسف حبيش والحزب الطالب اسناد الحكم الى امير ماروني شهابي. وحادثتهُ مع اقاربهِ في غزير مشهورة. فاصابتهُ واقاربَهُ من جرَّاء ذلك مشقّات يطول شرحها (اطلب تاريخ المقاطعة الكسروانيَّة ص ٢٩٩—٣٠٤) فالتجأ الى ان سوّى امرَ قضيته بمداخلة الكرسي الرسولي المقدس والسفارة الافرنسية

ثم اجتمع الدروز والموارنة ثانيةً وانتخبوا الامير اسعد قعدان شهاب حاكماً فاتخذ الشيخَ رشيداً مدبّراً لكن عمر باشا شتّت شملهم فاضطرَّت الدولة اخيراً الى عزل عمر باشا ولكونها منعت توظيف الشهابيين حرَّكت الدروز الى رفض الطاعة لحاكم ماروني واذ ذاك قسمت حكومة الجبل الى قائمقاميّتين تفصلهما طريق الشام القديمة

فالشمالية دعيت قائمقامية النصارى وعيّن لها بناء على رأي البطريرك يوسف حبيش الامير حيدر اسمعيل ابي اللمع قائمقاماً. والجنوبية دعيت قائمقامية الدروز وتولّاها الامير احمد ارسلان. لكنّ بلاد جبيل والكورة ضمّت رأساً لحاكم طرابلس لسبب وجود بعض المسلمين فيها. امّا اهالي دير القمر فانهم لاجل عداوتهم مع مشايخ آل ابي نكد حكّام مقاطعتهم التمسوا إلحاقهم رأساً بوالي ايالة صيداء الذي كان جعل مركزهُ في بيروت. فسُرّت الحكومة بذلك وأبت طلبهم رافعة سلطة قائمقام الدروز عنهم معتبرة ذلك خطوة جديدة للتمكن من ضمّ لبنان الى ايالة صيدا

وقد كان هذا التقسيم سبباً لزيادة المنازعات بين اصحاب المقاطعات الدروز واهالي مقاطعاتهم المسيحيين وكان رجال تركيا ينفخون في النار ليزيدوها ضراماً ويتمكنوا رويداً رويداً من نزع السلطة من ايدي ابناء البلاد بحجّة تعصّبهم وشدة عداواتهم وبغض بعضهم لبعض. ولمّا حدثت القلاقل الثانية في سنة ١٨٤٥ بين الدروز والموارنة حضر ناظر خارجية تركيا المسمى شكيب افندي الى الجبل وتولّى بذاته التحقيق وبعد اعادة النظر في تنظيم الحكومة اثبت مبدأ القسمة في الحكومة. ثم ضمّ بلاد جبيل والكورة الى القائمقامية النصرانية وشكّل المجالس في القائمقاميتين وعزل الامير احمد ارسلان قائمقام الدروز وعيّن محلّهُ اخاه الامير امين. وفي سنة ١٨٥٤ توفي الامير حيدر قائمقام النصارى فعيّنت الدولة العثمانية الامير بشير احمد ابي اللمع قائمقاماً خلفاً لهُ. ولمّا توفي الامير امين ارسلان قائمقام الدروز تعين كبير اولاده الامير محمّد خلفاً لهُ سنة ١٨٥٩ وهو في العشرين من سنّه

وقد كان عهد القائمقاميتين مملوءاً بالاضطرابات والقلاقل وكانت تزيدها سعيراً دسائس رجال تركيّة. ففي كسروان قامت الاهالي على المشايخ وطردوهم. وفي المتن انقسم الامراء اللمعيّون والاهالي بين مساعدٍ للقائمقام وبين معاكسٍ لهُ فاضطرّ للهرب واقيم الامير حسن من بسكنتا وكيلاً عنهُ. وفي القائمقامية الدرزيّة تفاقمت المشاغبات بين دروز ونصارى الى ان وقعت حوادث سنة ١٨٦٠ المشئومة ولمّا تبيّن ان المذابح تولّاها الجنود حيثما وُجدوا اي في دير القمر وحاصبيا وراشيا ودمشق تداخلت الدول وارسلت فرنسة المنقذة ستة آلاف جندي بامرة الجنرال بوفور وحضرت اساطيل الدول الى مياه بيروت وجاء فؤاد باشا مندوباً سامياً عثمانياً فاجرى القصاصات

الارهابيَّة في دمشق وبعض المدن والقى القبض على زعماء الدروز ومئات من رجالهم فوُضعوا في السجن . وتألفت لجنة دولية لسنّ نظام جديد في جبل لبنان. وقد كان ممثلو فرنسة يريدون إعادة الحكم الوطني الى جبل لبنان وكانوا يرشحون لذلك المنصب زعيم الامراء الشهابيين وقتئذٍ وهو الامير مجيد حفيد الامير بشير الثاني الكبير قاصدين ان يستمرّ المنصب بالارث في الاسرة الشهابية . ففطن فؤاد باشا للامر وقد كان عيّن عند قدومه الى سورية يوسف بك كرم وكيلًا لقائمقامية النصارى قصْدَ إثارة الاحزاب بين النصارى لانهُ ليس من عائلات اصحاب الاقطاع فملافاةً لتولية الشهابيين وعد يوسف بك كرم سرًّا بتعيينه حاكمًا لكل الجبل اذا تمكّن من عمل عريضة موقّعة بامضاءات اهالي الشمال الموارنة يعترضون فيها على ترشيح الامير مجيد وعدم قبولهم بهِ حاكمًا . ففعل وقدَّم لهُ عريضة بهذا المعنى عليها الوف من التواقيع التي لا يصعب على وكيل السلطة نيلها خصوصاً من قبل اناس اكثرهم يجهلون القراءة والكتابة . فتسلّح فؤاد باشا واللورد دوفرين المعتمد الانكليزي بهذه العريضة معاكسةً لقبول مرشّح فرنسة واستندا عليها لمنع تعيين حاكم وطني . واسفرت المسألة عن تعيين داود باشا على حكومة لبنان الجديدة التي دُعيت متصرفية وذلك في ٩ حزيران ١٨٦١ . وهكذا سقطت امنية فرنسة والموارنة باعادة حكم جبل لبنان بالارث الى امير ماروني وخابت مطامع يوسف بك كرم. كلُّ ذلك بدهاء فؤاد باشا ولسبب اختلاف معتمدي الدول

صدى مذبحة القديس برتلماوس

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

كتب لنا قبل اشهر بعض كهنة الاقباط في مصر انَّ احدى الجرائد هناك نشرت فصلًا في مذبحة القديس برتلماوس ونسبت هذا الحادث الى الكنيسة الكاثوليكيَّة وابنائها فطلبوا منَّا ان نميط الستار عن هذه الواقعة ونزوي غثَّها من سمينها . فتأخَّرنا

الى اليوم عن الجواب لتظهر مقالتنا في شهر آب الذي في غضونهِ وقعت تلك المذبحة الشهيرة . وها نحن نقسم بحثنا ثلاثة اقسام نبيّن في الاول : ما هي مذبحة القديس برتلماوس . وفي الثاني : ماذا كان سببها . وفي الثالث : هل الكنيسة الكاثوليكيَّة فيها حصَّة

١ ما هي مذبحة القديس برتلماوس

في ليلة اليوم الرابع والعشرين من السنة ١٥٧٢ قبل تبلُّج صباح عيد الرسول القديس برتلماوس صدر من بلاط ملك فرنسة شرل التاسع امرٌ فظيع قام بهِ جندهُ وهو اغتيال البروتستانت الفرنسيين وقتلهم في بيوتهم . وكان عدد عديد منهم قد اجتمعوا في باريس ليحضروا حفلة زواج زعيمهم هنري من نافارّة الذي صار بعد ذلك ملكاً فعُرف بهنري الرابع مع الاميرة مرغريتا من اسرة ڤالوا

فقُتل في تلك الليلة كثيرون من المنتمين الى شيعة كلوينوس ثم بلغت الاوامر الى مدن اخرى فاستباح الناس دماء البروتستانت في عدَّة امكنة وقد اختلف في عدد القتلى في العاصمة وانحاء البلاد فمنهم من بلَّغهُ الى ١٥،٠٠٠ بل الى ٢٠،٠٠٠ ومنهم من اهبطهُ الى الفين بل الى اقلّ من ذلك . وما لا شكّ فيهِ انَّ البروتستانت سنة ١٥٨٢ أجروا التحقيقات في ذلك لينظموا اسماء القتلى في سنكسارهم فلم يجدوا لكل فرنسة الَّا اسماء ٧٨٦ رجلًا منهم ١٥٢ في باريس والله اعلم

تلك هي المذبحة المستقبحة المنسوبة الى القديس برتلماوس لوقوعها في يوم عيدهِ والتي يطبّل ويزمّر بها اعداء الكنيسة الكاثوليكيَّة كأنَّها هي المسؤولة بوقوع ذلك الاثم الفظيع . وما هي في الحقيقة الَّا احدى التُّهم الباطلة التي يقرّع بها اعداء الدين الكنيسة الرومانيَّة فيردّدها الصحافيّون كالببغاء . كما يفعلون بديوان التفتيش ومسألة غليلاي وغير ذلك من الاراجيف التي فنَّدناها سابقاً

٢ ما هي اسباب مذبحة القديس برتلماوس

انَّ السبب الاوَّل لوقوع هذه المذبحة انَّما هم البروتستانت نفسهم المعروفون بالهوغنوت (Huguenots) فانَّهم بانتمائهم الى بدعة كلوينوس وتعصُّبهم على

الكاثوليك وارتباطهم سرًّا مع اعداء وطنهم لاسيما مع اليصابات ملكة انكلترة التي دعاها رئيسهم الاميرال دي كوليني (de Coligny) والامير كونده (Condé) الى مساعدتهم في محاربة الكاثوليك مشترطين على نفسهم بان يسلّموا الى انكلترة مدن الهافر ودياپ وروان بخيانة فظيعة

وكان السبب الثاني ما ارتكبهُ البروتستانت في كل انحاء فرنسة من المآثم المستفظعة فانهم منذ السنة ١٥٦٠ كانوا يطوفون معاملات فرنسة كنورمندية والدوفيناي وبروفنسة فيقتلون ويسلبون ويحرقون وينتهكون حرمة الكنائس والاسرار ويغصبون الناس باللكم والضرب على حضور خطب رؤسائهم الكافرة حتى انَّ الشعب هاج وماج وقد رأى ضعفاً في الحكومة لكبح جماح اولئك الاشرار عليهم وودَّ لو يتاح لهُ ان يعاملهم بالمثل

وكان السبب الثالث للمذبحة المذكورة مذبحةً أُخرى باشرها البروتستانت غيلةً قبل مذبحة باريس سنة ١٥٦٩ في ذات يوم عيد القديس برتلماوس في مدينة «پو» (Pau) فقتلوا ألفين من اهلها الكاثوليك المستوطنين فيها بأمان . وكان زعيم البروتستانت الكونت مونغمري (Mongomerry) فجاء الى باريس يتبجّح بفعلهِ دون ان يجسر فنقم احد على كسر شوكتهِ

وكان السبب الرابع وهو السبب القريب لمذبحة القديس برتلماوس الباريسيَّة انَّ الاميرال دي كوليني اخذ يتقرَّب الى الملك شرل التاسع ويتحبَّب اليهِ ليجذبهُ الى طرفهِ والى جانب حزبهِ فصالحهم الملك وهو اذ ذاك شاب غرٌّ شرس الاخلاق مائل الى الشهوات . وكانت امّ الملك ماري دي مادیشیس ايطاليَّة الجنس رزينة بصيرة في الامور فخافت ان يقع ابنها في شرك اعداء الدولة فانذرتهُ فلم ينتبه فعزمت على قتل الاميرال سرًّا دون ان تكشف قصدها لاحدٍ الَّا ان المكيدة لم تـأتِ بنتيجةٍ مُرضية فدخلت على ابنها بغتةً مع وزراء المملكة وضباط الجنديَّة فأنبأتهُ بمقاصد رؤساء البدعة البروتستانيَّة الذين لم يكتفوا بمحاربة الدين وارباب بل دسُّوا مكيدة لشخصهِ ليسقطوهُ عن عرش آبائهِ . وأمّن الوزراء على قول الملكة وبيَّنوا الروابط التي تربط البروتستانت باهل شيعتهم في انكلترة وهولندة فتخوَّف الملك من هذه الكاشفات واقنعوهُ بان اقرب واسطة للنجاة من شرّهم ان يسبق ويكيدهم قبل

ان يفتكروا بهِ فأصدر الامر بتلك المذبحة المستقبحة التي سوَّدت صحيفةً من سيرة الملكة ماري دي ماديشيس والملك شرل ابنها وان كان لهما بعض العذر في ما اجتناهُ البروتستانت في حقّ الدولة وكان الاولى بهما ان يدعُوَا الى المحاكمة اولئك المذنبين لولا خوفهما من مؤامرة المبتدعين وتهييجهم لانصارهم

٣ هل الكنيسة مسؤولة عن مكيدة مذبحة القديس برتلماوس

يزعم اعداء الدين بان للكنيسة حصَّةً في هذه المذبحة فهي مسؤولة عن وقوعها او انَّها على الاقلّ صدَّقت عليها وبرَّرتها . فنجيب على الاوَّل ان الكنيسة وأربابها جهلوا سلفاً وقوع تلك المذبحة وعلى الثاني انَّهم لم يستحسنوها بعد حدوثها

١ قد جهل ارباب الكنيسة المذبحة قبل وقوعها

١ً قد اتَّفق اليوم المؤرخون البروتستانت كما الكاثوليك على انَّ مذبحة القديس برتلماوس كانت امراً سياسيًّا بحتاً لا علاقة لهُ مع الدين كما رأيت من الاسباب التي ذكرناها في الفصل السابق

٢ً ان المذبحة المذكورة صارت على بغتةٍ بعد شورى سرّيَّة لم يحضرها احد من ارباب الكنيسة عُقدت في قصر لوفر مؤلَّفة من الملك والملكة وارباب الجنديَّة ورؤسائها واسماؤهم معروفة في التاريخ . حملهم على المبادرة الى ذبح اعدائهم خوفُهم من مؤامرة بروتستانيَّة اشاعوا خبرها غايتُها الفتك بالملك وبكل انصارهِ فصرخ الملك : ان كان قومٌ من شعبي يتآمرون عليَّ ويعمدون الى تقويض سلطتي فما نصيبهم الَّا الهلاك

امَّا ما جاء في احدى الروايات بان شرل كردينال لورين بارك في باريس خناجر القتلة قبل خروجهم الى ذبح البروتستانت فذلك كذبٌ محضٌ لا سند لهُ اذ كان وقتئذٍ الكردينال المذكور في رومية بعيداً عن موقع الملحمة

على انَّ البعض احتجُّوا لتهمة الكنيسة برسالة كتبها البابا القديس بيوس الخامس الى الملك شرل يحثّهُ على محاربة البروتستانت . الجواب على ذلك انَّ الحبر الاعظم لمَّا بلغهُ ما يقترفهُ البروتستانت في فرنسة من المآثم وهدم الكنائس وقتل الكهنة كتب الى الملك شرل في السنتين ١٥٦٩ و١٥٧٠ يدفعهُ الى محاربتهم حرباً شرعيَّة

منظّمة ليعيد السلام الى مماكته ولكنّهُ لم يحملهُ على اغتيالهم وذبحهم سرًّا لا بل اذ أُخبر سنة ١٥٦٧ بأنّ الملك يريد ان يفتك سرًّا باحد زعمائهم كتب اليهِ البابا يقبح فعلهُ ويردّهُ عن فكرهِ المنافي للعدل. وممَّا يدلّ على نيّة الحبر الاعظم انّهُ لم يشأ قتل البروتستانت اغتيالًا انهُ لم يسمح هو وخلفهُ البابا غريغوريوس الثالث عشر بزواج الامير هنري دي نقارة البروتستاني مع الاميرة مرغريتا الكاثوليكيَّة وهي الحجَّة التي توسّلت بها الملكة لاستدعاء البروتستانت الى باريس والفتك بهم. فلو وقف البابا على فكرها لكان على خلاف منعهِ الزواج سمح بهِ لخداع البروتستانت. فصحَّ اذن قولنا بان ارباب الكنيسة جهلوا مذبحة القديس برتلماوس قبل وقوعها

٢ لم يصدّق الاكليروس الكاثوليكي على حادثة المذبحة بعد وقوعها

هي التهمة الثانية التي وجَّهها البعض الى الكنيسة فقالوا: نعم انّ الاكليروس الكاثوليكي لا نصيب لهُ بملحمة القديس برتلماوس لكنّهُ سُرَّ بها وقدّسها بعد حدوثها. ويؤيدون قولهم على شاهدَيْن محسوسين الاوّل انّ اكليروس باريس قدَّم ثاني يوم الملحمة فرائض الشكر لله على وقوعها. والثاني انّ البابا غريغوريوس الثالث عشر كتب الى ملك فرنسة يهنيهِ على ما جرى وصوّر في قاعات الڤاتيكان ملحمة القديس برتلماوس. أفليس هذا كلّهُ دليلًا على انّ الكنيسة الكاثوليكيَّة حبَّذت هذه الملحمة الشنيعة ؟

نجيب على ذلك انّ فرائض الشكر لله التي قدّمها اكليروس باريس لم تكن غايتها فرحهم على مذبحة البروتستانت بل اجابة الى ملتمس الملك الذي اشاع في كل انحاء الدولة انّهُ نجا من مكايد اعدائهِ بينما كانوا تآمروا على قتلهِ فسبق واستدرك الامر بردّ كيدهم في نحرهم فطلب من الاكليروس ان يشكروا الله على نجاتهِ ففعلوا

وكذا جرى للبابا غريغوريوس الثالث عشر الذي خُدع برواية السفير دي بوڤيليه (Beauvilliers) فان الملك اوفدهُ مسرعًا الى رومية ليخبر الحبر الاعظم بنجاتهِ من المؤامرة التي ابرمها عليهِ اعداؤهُ البروتستانت فأوقع بهم دفاعًا عن نفسهِ. والاوراق الرسميَّة التي دارت وقتئذٍ بين الحبر الاعظم والملك موجودة الى اليوم في سجلَّات

الڤاتيكان نشرهـا الاثري بوتاريك (D. M. Boutaric) في مجموعة مكتب السجلات سنة ١٨٦٢ (ج ٣ ص ١-٣٧) تثبت جهل البابا غريغوريوس بمكيدة الملحمة وانه تصوَّرها كفعل دفاعي . وهذا ما حمل البابا على تهنئة الملك بخلاصه بل اراد ان يخلّد ذكر هذه النعمة برسم الملحمة على جدران الڤاتيكان . فالداعي اذن على فرح البابا علمهُ بنجاة الملك ليس بقتل البروتستانت اغتيالاً ولمّا وقف بعد مدّة على حقيقة الامر استقبحهُ وذرف الدموع على القتلى

ومما يدلُّ ايضاً على برارة الكاثوليك انهم في امكنة عديدة خلّصوا البروتستانت من المذبحة وخصوصاً في تولوز حيث فتح الرهبان اديرتهم فالتجأ اليها البروتستانت ونجوا من القتل . ودافع عنهم اسقف مدينة ليزيو . وكان البروتستانت في مدينة نيم في السنتين ١٥٦٧ و ١٥٦٩ قتلوا عدداً عديداً من الكاثوليك فأسرع هؤلاء وآووا في بيوتهم الكلوينيين وخلّصوهم من كلّ اذى رادّين الخير بدلاً من الشرّ

ومن غريب ما جرى في تلك الملحمة انَّ الجند المرسلين من الملك لقتل البروتستانت قتلوا معهم كثيرين من الكاثوليك امّا جهلاً وامّا تجاهلاً لغايات شخصيَّة . واتخذ اوباش الشعب تلك الحادثة وسيلةً للانتقام وللارباح الخسيسة المستهجنة

ومن العجب العجاب انَّ الذين يطنطنون دائماً بمذبحة القديس برتلماوس يضربون الصفح عن ملاحم البروتستانت التي تكاد تُنسي ملحمة باريس كمذبحة البارون ديزادراي (le baron des Adrets) الذي في واقعة واحدة قتل خمسة آلاف من الكاثوليك لدفاعهم عن دينهم . وما قولنا بهنريكوس الثامن ملك انكلترة الذي حكم بالاعدام على ما ينيف على سبعين الفاً منهم . فاين العدل في كل هذه المرويات ؟

هذه خلاصة اخبار تلك الملحمة الشهيرة التي كانت مؤامرةً سياسية لا دَخْل للدين فيها على خلاف ما كتبهُ البستاني في دائرة المعارف (٥ : ٢٩٨) وما نشرتهُ زوراً النشرة الاسبوعيَّة . وكلّ ما كتبناه هذا مبنيّ على اصدق واوثق الكتابات الرسميَّة التي ازالت بعد نشرها كلّ شبهة في هذه الواقعة المؤلمة التي رذلتها الكنيسة كما ينفر عنها كلّ صاحب ضمير

نوابغ المدرسة المارونية الاولى

البطريرك جرجس عميرة (تتمة)

بقلم حضرة الخوري بطرس غالب

وكان قد ادرك ما في مساعدة المرسلين من الفائدة الروحية فالحّ عليهم بالمجيء الى لبنان من يوم رقي الى الدرجة الاسقفية ولما صار بطريركاً فتح لهم كنائس الطائفة في كل الامكنة التي يقطنها الموارنة كقبرس حيث كان الآباء الكبوشيون يكرزون في كنائس الموارنة « الكاثوليكيين دون سواهم الخاضعين للكرسي الرسولي » (رسالة الاب سِنتيان الى كولبر). وكذلك جرى في صيدا وحلب

وفي سنة ١٦٤١ تمّ الاتفاق بين موارنة قبرس والفرنسيسكان على ان يستلم هؤلاء كنيسة الصليب في افقسيّة قبرس ويقوموا بخدمة الموارنة

وفي جبة بشري اعطى الكرمليين دير مار اليشاع المهجور ليرمموه ويقيموا فيهِ وعرض على الآباء اليسوعيين مثل ذلك ورغب اليهم ان يبنوا ديراً في مسقط رأسه اهدن فلم تتحقّق فكرته الّا بعد زمان طويل وبناء على ما عُرف بهِ من الميل الى المرسلين وتقديره اعمالهم كتب اليهِ الاحبار الاعاظم وسفراء فرنسة في الاستانة ان يساعدهم على انشاء ارساليّات في لبنان وجواره

هذا وكان جدب الارض وقلّة الامطار فضلاً عن الجور تضايق السكان فكان يشكو البطريرك من ذلك في عرائضه الى الحبر الاعظم والى اصدقائه . فانه في سنة ١٦٣٦ نزل برَد في الزاوية في اول تشرين الاول ثقل الواحدة اوقية وكان المطر قليلاً « حتى ان الناس اكلت الفواكه على امها في الكوانين وبلغ ثمن شنبل القمح قرشين ونصف القرش » ونزل بالبلاد نكبات من جرَّاء دخول عسكر الدولة لاسترجاع المال الذي كان قد ضبطه الامير علي ابن علم الدين على الحكومة فجرت مواقع فوق بكفيا كسر فيها القيسيون اليمنية في ظهور مرحاتا (فوق الشوير قبلة) ثم في المروج واخيراً طردوهم من بلاد كسروان فانهزموا الى عكار عن طريق الجرد واجتمعوا في عرقا مع رجال الامير علي بن سيفا فتعقبهم عسكر الدولة في طريق الساحل ولحق بهم في نهر البارد فانهزموا ثم كسرهم في ارض جون عكار ونهبت الجنود

اموالهم وسبت حريهم ثم عُقد الصلح بين الامير علي والامير عساف في قريـة المنية وعاد هذا الى بيروت

وفي تلك الاحوال ظهر الامير ملحم بن معن فانهزم ابن علم الدين وتولى الامير ملحم بلاد الشوف ثم وردت الاخبار ان الحرب نشبت بين كوجك احمد باشا وشاه العجم فطابت الدولة الذخيرة اثر ذلك القحط وتلك الفتن التي ذكرناها فتسكَّرت مدينة طرابلس وبطل البيع والشراء واخيرًا رُفع الطلب عنها . لكنَّ الحرافشة ارادوا اغتنام الفرصة لاسترجاع بلاد بعلبك فمنعهم من ذلك جيش الدولة وقتل منهم عددًا غفيرًا فولى الباقون الادبار

وحدث خلاف بين السيفلية (بني سيفا) وبيت حماده لان هؤلاء ارادوا الانضمام الى مصطفى باشا متسلم طرابلس واولئك ابوا فقتلوا الشيخ احمد حماده وكاخية مصطفى باشا وجماعته . ثم حدثت وقعة اهمج بين الحمادية وبين الامير اسماعيل ومحمد بن يوسف آغا بسبب حكم جبيل الذي ناله اخيرًا ابن يوسف آغا

وكان من نتيجة قلة المطر ان ورق التوت بلغ ثمن قنطاره عشرة غروش

فتصوَّر رعاك الله حالة البطريرك الماروني وطائفتـه تتلاعب بهما تلك القلاقـل تلاعُب الامواج بالسفينة الصغيرة لا يعرفون كيف يتـدبرون حتى يأمنوا شر هذه الاحوال . فضلًا عن انهُ حدث اختـلاف بين محبستي دير قزحيا بسبب الماء والرزق الحرب فشكا القس حنا البري رئيس احداهما (محبسة مار مخـائيل) امره الى الامير عساف بن يوسف باشا فارسل بكبـاشياً مع موسى بن دغيم الملكي يطلب دراهم من المطران بولس السمراني رئيس محبسة مار انطونيوس فابى ان يدفع فاستدعـاهُ الامير عساف الى جبيل وانزل به انواع العذابات حتى اضطر المطران الى إرضائهم باربعة آلاف غرش والامير نهب دير قزحيا وسلب ما وجد فيه واذاق المطارنة والرهبان امرَّ العذابات . على ان الله تعالى انتقم لحبيسهِ وللموارنة من هؤلاء الغاشمين انتقاماً مريعاً فان الامير عساف عُلِّق على بوابة قلعة الحصن بامر شاهين باشا وقُتل رجاله شرَّ قتلة . ومن هَرب منهم فُتش عليهِ في الاديار والقرى وباد بنو سيفا من ايالة طرابلس

ثم لمّا ولى نائبُ الشام الاميرَ علي بن علم الدين على بلاد الشوف طرد الحوازنة والحبيشية الى بلاد جبيل . وحدث وباء في الماشية فاباد منها قسماً وافرًا وجاء الجراد

الَّا ان ضرره كان قليلًا ولم يمنع خصب الاغلال فبيع شنبل القمح بثلثين .

وفي سنة ١٦٣٨ قدم السلطان مراد بجيش جرار الى حلب قاصدًا بغداد فخاف ابنُ علم الدين والتجأ الى متاولة بلاد بشارة ففاجأهم الامير ملحم وقتل منهم عددًا وافرًا فاستنجد ابن علم الدين سكمانيَّة الشام وزحف على الامير ملحم فانهزم من امامهم وهجر الشوف والغرب والمتن والجرد اهاليها . وفي السنة التالية قتل ابن علم الدين في خلدة احمد آغا الشمالي المعيّن متسلّمًا لصيدا . وشبت النار في زيتون الكورة فاتلفت منهُ نحو خمسين الف شجرة

فما كانت اعمال البطريرك عميرة في تلك السنوات ؟ لا ريب انهُ كان منهمكًا بدرء الاخطار عن الكرسي البطريركي وعن الطائفة وبسبب الاحوال الصعبة لم يرقِّ الى الاسقفية الَّا مطرانًا واحدًا على اهدن هو المطران الياس بن الحاج حنا من عائلة الضراصرة (١٦٣٨) الذي ذكرنا ما عرفنا عنهُ في حاشية سبقت

وفي تلك السنة سُلخت جبة بشري وبلاد جبيل والبترون عن ايالة طرابلس وأُلحقت بالشام . وكان في هذا التدبير بعض الراحة للاهالي لانهم كانوا بعيدين عن مركز الحكومة

اما في خارج لبنان فانه لما جاء السلطان مراد مدينة حلب التمس منهُ موارنتها ان يسمح لهم بترميم كنيسة القديس الياس وبترميم كنيسة باياس فاجابهم الى ذلك فجدد الموارنة سقف كنيستهم واقام الارمن كنيسة باياس ليكون استعمالها مشتركًا بين الطائفتين

وفي سنة ١٦٣٨ انتقل الى دار الخلود في رومية المطران سركيس الرزي وقد سبق لنا ان تكلَّمنا عنهُ في هذه اللمحة ولم يُرسَم خلف لهُ واستمرَّ الكرسي فارغًا حتى سنة ١٦٤٤ وفيها سيم على دمشق يوسف ابن عميمة الكرمسداني . وكان ابن علم الدين يوالي غزواته على مشغرة والبقاع وينهب ما تصل اليهِ يدهُ

ثم حدثت في سنة ١٦٣٩ زلزلة مريعة في ٢٣ ت ١ تكررت ثلاثة ايام فاحدثت اضرارًا كثيرة في البر والبحر

وفي تلك السنة قدم الاب جوان باطشتا كورتي اليسوعي يطلب تلامذة المدرسة المارونية في رومية لان عددهم فيها كان قد قلَّ فارسلهُ البطريرك جرجس عميرة الى

كسروان الى المطران يوسف حليب العاقوري واوعز الى هذا الاخير ان يهتم باختيار التلامذة وتأهيبهم للسفر فانتقى خمسة عشر هم: فرح الغوسطاني مات في البحر. وبطرس مخلوف وقد نشرنا ترجمتهُ في هذه المجلة ويوسف فليفل. وجرجس الحاقلاني. ومخائيل الكرمسداني. ويوسف بن جبرائيل العاقوري. ومخائيل بن داود من بكركي. وجبرائيل بن موسى مهنا. وجرجس بن عفيف من صيدا. وداود بن يوسف من مجدليون. ويوحنا بن الياس من بيت مبارك من بطحا. ومنصور بن بطرس الباني. وبطرس بن سمعان الطرابلسي (١

وحل بالموارنة نكبة عظيمة سنة ١٦٤٠ يوم زحف رجال متسلم طرابلس على الجبة للقبض على الشيخ ابي كرم الحدثي شيخ الجبة لان هذا المتسلم بعد ان اكرمه تغيَّر عليهِ فامره ان ينزل الى طرابلس فتأخر عن امتثال الامر لخوفه فارسل عسكراً انتهك حرمة الاديار ونهب القرى. ولما رأى ذلك الشيخ ابو كرم ذهب الى طرابلس فما كان من متسلمها الّا انهُ حبسهُ ثم رفعهُ على الخازوق وعرض عليهِ الاسلام فيعفي عنهُ فابى هذا الشيخ الكريم ان يبيع دينه بدنياه فأُبقي على آلة العذاب وعليها مات. وجرَّدت الدولة حملة على سليمان بن سيفا فهجر الاهالي قراهم واتوا طرابلس ولمَّا قتل حميدانُ بن الشعار عينَ الدين كاتب ديوان الباشا في تلك المدينة جرَّد عليهِ الكاخية تجريدةً نهبت حردين وكفور العربة

فاصبحت هذه البلاد التعيسة مسرحاً تمثل عليهِ روايات دموية متتالية فلا يهنأ لاهلها عيش ولا يذوقون راحة فانَّى للبطريرك عميرة ان يتفرَّغ لمهام وظيفته فانهمَّ

---

١) اعلم ان الدويهي لم يذكر شيئاً الّا عن بطرس مخلوف ويوسف فليفل وجرجس الحاقلاني اما الباقون فمات منهم فرح في البحر قبل ان يصل الى رومية والآخرون لم يتموا علومهم الكهنوتية ولم يفيدوا فائدة تذكر. وقد عرفنا عن يوحنا بن الياس من بيت مبارك انه ذهب الى رومية مع المذكورين ولم يثبت في دعوته بل خرج من المدرسة وذهب الى البندقية حيث استوطن وتزوج. وهذا الامر مذكور في آخر كتاب الصلوات الفرضية الموجود عند الخوري اسقف يوحنا شيرللي الوكيل الاسقفي الماروني في قبرس. وقد جاء فيه ايضاً ان ابرهيم بن الخوري جرجس الترجمي من قرية كليبيني درس في راونّة ورومية ورجع الى قبرس سنة ١٦٦٨ فرسمه الدويهي كاهناً في ٧ ايار من تلك السنة ١٦٩٣ وبواسطة يوحنا مبارك ارسل كتاب الصلوة الفرضية الى قريته

كان منصرفاً الى تخفيف تلك الويلات وهيهات ان يبالي اصحاب المطامع بما يلحق بالبلاد من الضرر والخراب

ومع ما كانت عليه الاحوال من القلق ما فتئت انظار البطريرك متجهة الى المدرسة الرومانية المارونية يرسل اليها التلامذة الذين كان يرجو من تهذيبهم الاكليريكي وعلومهم خيراً جزيلاً لطائفته ففي السنة التي تقدم ذكرها بعث الى تلك المدرسة مرهج بن نمرون الباني (١ اخا نقولا ويوحنا

وفي سنة ١٦٤١ أرسل ايضاً الى رومية اسطفان الدويهي الشهير (٢ الذي كان لفت نظر المطران الياس الاهدني فتنبه فكر البطريرك اليه. ولم يسافر الدويهي وحده بل بعث البطريرك معه يوسف الرامي (٣ واخاه بطرس (٤ والدي اخت القس سمعان

١) مرهج بن نمرون Faustus Nairon ولد في بان (جبة بشري) في سنة ١٦٢٥ ارسله البطريرك جرجس عميرة الى رومية ١٦٤٠ حيث درس العلوم الكهنوتية. رجع الى لبنان فوصله في ١٦ ت ١ سنة ١٦٤٩ مع الخوري مخائيل الحصروني قاصد البطريرك يوحنا الصفراوي. وكان هذا البطريرك في بكفيا فارسل الى لقائهما جمهوراً مع المطارنة والكهنة لانهما كانا آتيين بدرع البطريركية ثم رقاه البطريرك الى درجة القسوسية وبعد مدة اقامه وكيلاً له في رومية وارسله اليها مع اربعة اولاد (١٦٥٠) للمدرسة المارونية. خدم الطائفة وبطاركتها بكل امانة وحكمة. ألف كتباً جزيلة الفائدة منها واحد في اصل الطائفة المارونية وآخر في « اسلحة الايمان الكاثوليكي » (Evoplia) كتب سيرة القديس اوسطاكيوس وصنف كتاباً في شجرة البن ومنافع القهوة وعني بتنقيح الاناجيل وسائر اسفار العهد الجديد وبطبعها مع القس يوسف الباني واستهلّها بمقدمة جزيلة الفوائد

درّس العربية والسريانية في مدرسة مجمع نشر الايمان وفي دار العلوم العليا. وكان علائق كثيرة بينه وبين العلماء منهم ده لاروك. قال عنه الدويهي انه كان بعيد النظر رصين العقل فنال محبة البلاط الروماني. وقد قرّظ الاب مخائيل نو اليسوعي كتاب مرهج بن نمرون في اصل الموارنة ومثله فعل يوسف الباني في ابيات سريانية تلاعب فيها بكلمتي (ܡܪܗܓ ܘܡܗܓ) . انتقل الى راحة الابرار سنة ١٧١٢ وله من العمر ٨٧ سنة. وعنه قال القس الياس القزيري :

والكاهنين الحقيقة مرهج ومتى البانية وكلا كرامي البطركية برومية عند البابية

٢) راجع ترجمته للطبيب الذكر المطران بطرس شبلي

٣) يوسف الرامي درس الفلسفة سنتين ثم مرض فامره الاطباء بالرجوع الى وطنه فبرح رومية ١٦٤٩ وترهب في رهبنة مار انطونيوس وسيم قساً ثم اعتنى بتعليم الاحداث في عشقوت وبسكنتا وقبرص وبيت شباب وانشأ في اوائل ١٧٠٣ دير مار جرجس بحردق بارض بيت شباب وسيم عليه برديوطاً وكان طويل الاناة

٤) الشدياق بطرس الرامي تزوج في بيت شباب وفيها مات

التولاوي (١ وبطرس (٢ بن القس ابرهيم امية من اهدن نسيب البطريرك عميرة ووكل امر السهر عليهم الى القس سمعان المذكور فبلغوا رومية تلك السنة في شهر حزيران وكان عمر اسطفان احدى عشرة سنة

ولا تظن ان احوال الموارنة في قبرس كانت افضل منها في لبنان فان الاروام كانوا يُنزلون بهم انواع الحيف ويضطرونهم الى الخضوع لولايتهم ولا تعجب ان كان الضعف البشري استولى على بعض هؤلاء المساكين فخافوا الظلم والعذاب وسلموا اوقافهم للاروام ودفعوا لهم العشور

وكان الخوري جرجس واقاربه (لعله الخوري جرجس الترتجي) قد خدعهم الاروام فسلموهم سنة ١٦١٥ كنيسة السيدة في كفالوريزو بعد ان تبعوا طقسهم وخضعوا لاسقفهم فسعى الخوري بطرس خادم تلك القرية جهده لاسترجاع الكنيسة وقد توفق الى ذلك بعد ان انفق مالًا كثيرًا اذ نال فتوى تعلن ان الكنيسة للطائفة المارونيَّة لا للخوري جرجس المذكور وارسل الفتوى الى الاستانة موقعاً عليها من علماء كثيرين فحصَّل خطّاً شريفاً بارجاع الكنيسة الى الطائفة وكان الخوري المذكور ذا غيرة وسطوة

---

١) القس سمعان بن هارون التولاوي من تلامذة مدرسة رومية رجع الى لبنان ١٦٥٥ ترى رسمه مع مشاهير المدرسة الرومانية اكمل فيها علومه ثم انخرط في سلك رهبان مار انطونيوس وامتاز بسيرته النقية وتوفي براغمة القداسة. ترجم الشرطونية من اللاتيني الى العربي وعنه قال القس الياس العزيري في زجليته المشهورة:

وقسيس سمعان تولاني كان قديس بالرهباني اريسده يطلب من شاني حتى انجو من الخطيه
قبره في بشعله موجود بلزق الحايط هو ممدود كنيسة العذرا ام الجود يشفي وجع البرديه
قبره يقصده الاعوام الموجوع فوق منه ينام يوم واحد من الايام يشفيه من كل وجعيه
قبل موته بيوم واحد انباه الله واكد كينة بشعلي فيه تشهد ومعهم اكابر مسيحيه
وهو كان معروف بسيرته من الطاعة ومن غيرته حافظ قانون رهبانيته في الطهارة والعفيه

٢) بطرس بن اميه ولد سنة ١٦٣١ ارسل الى رومية سنة ١٦٤١ درس فيها المنطق والفلسفة واللاهوت الادبي ثم اعيد الى لبنان بسبب اعتلال صحته وسيم كاهناً واقام في دير مار قبريانوس في اهدن. كان جميل الخط في العربي والسرياني والافرنجي عيَّنه البطريرك الدويهي كاتباً عندهُ وفي ٢١ تموز ١٦٨٠ رقاه الى مطرانية صيدا بحضور معاونة المطرانين جرجس حبقوق البشعلاني والمطران يوسف شمعون الحصروني فخدم الرعية بكل تقوى ونشاط ثم مرض في البهلولية من اعمال اللاذقية حيث كان البطريرك الدويهي انفذهُ لزيارة الرعية فحملوه الى وادي صفرا حيث انتقل الى دار الخلود في ٦ ايار ١٦٨٣

وقد سبق لنا ان ذكرنا الاتفاق الذي جرى بموافقة البطريرك جرجس عميرة بين موارنة قبرس والفرنسيسكان على ان يتسلّم هؤلاء كنيسة الصليب في الاسقفية ليقوموا بخدمتها الروحية لان الموارنة كانوا دائماً قليلي العدد في العاصمة يلجأون الى الجبال بعيداً عن مقامات الحكومة

وجرت في لبنان في تلك السنة مواقع بين المتاولة والامير علي بن علم الدين الدرزي فظفر بهم في وادي غباله وطردهم من تلك البقعة واقام فيها فريقاً من الموارنة . ولم تكن السنة الحالية اوفر راحة على لبنان فانهُ عدا القتال المتواصل بين ابن علم الدين والمتاولة خطر ببال محمد باشا الارناؤوط الذي ولي على طرابلس ان يعمّر قصراً على نهر رشعين ففرض على الرعايا « شاشات وبوابيج » اي ما يبلغ ثمن كل منها وقدرت الشاشة باربعين قرشاً والبابوج بعشرين وسخر السكّان للبناء . وكثر البلص ومحلَ القز حتى ان كثيرين تركوا مواسمهم وبلادهم ورحلوا من الجبة

رغم كل هذه الاضطرابات لم ينفك البطريرك عميرة عن الاهتمام بالمدرسة الرومانية بل كان يواصل ارسال التلامذة اليها فانهُ في سنة ١٦٤٢ ارسل اليها يوحنا بن نمرون اخا مرهج ونقولا فاكمل علمه فيها وتولى تدبير مدرسة راونا ولمّا ابطلها الحبر الاعظم سُلمت الى تدبيره خزانة الكتب في مار بطرس (١٦٦٣) بعد موت نسيبه ابرهيم الحاقلاني (١

وفي ما نشره حضرة الاب ابراهيم حرفوش في مجلة المشرق (١٩٠٤ ص ٣١٤ الخ) عن دير حراش ترى ان هذا الدير اشتراه سنة ١٦٤١ المطران يوسف حليب العاقوري بموافقة البطريرك جرجس عميرة ووقفه لا للراهبات فقط بل لتعليم عشرة صبيان ايتام من الطائفة وجعله تحت ولاية البطريرك ورئيس دير مار شليطا مقبس

وفي سنة ١٦٤٣ في ٨ آذار جاء الكرملتان الى لبنان نهائياً واقاموا في دير مار اليشاع بشري الذي وضعه البطريرك والاهالي تحت تصرفهم

وكتب الاب اميو اليسوعي الى الرئيس العام الاب موتسيو فيتالاسكي يستشيره فيا اذا كان يوافق ان يطلب هو ايضاً من البطريرك الماروني جرجس عميرة احد الاديرة

١) سننشر لمحة عن حياته

المتروكة لكي يصلحه ويقيم فيهِ مرسلون من رهبنته فلم يستصوب الرئيس العام هذا الرأي

ومما اقترحهُ الاب المذكور انشاء مدرسة اكليريكية اعدادية للموارنة في طرابلس يهتمُّ فيها بتهذيب التلامذة الاباء اليسوعيون وتُسلَّم العناية بالطقسيات والامور المادّية الى كهنة موارنة فيرسل النابغون من التلامذة الى رومية لتتميم دروسهم. والحق يُقال انها لفكرة جليلة جديرة بكل ثناء وقد كان السيد الياس الحويك الجالس سعيدًا على الكرسي البطريركي الانطاكي قد خطر بباله مثل هذا الفكر واراد ان يحققه باقامة مدرسة اكليريكية في بيروت يشابه تنظيمها ما اقترحه الاب اميو المذكور فحالت دون تتميم رغبة كليهما عقبات

ولما تولّى حسن باشا ولاية طرابلس وكان كاخيته ابو رزق البشعلاني انزل هذا الحاكم بالبلاد بلايا كثيرة وحلَّ بالرعية ضيق شديد فتشتّتوا من مواطنهم وترك البطريرك قنوبين هاربًا الى كسروان والشوف كما فعل سالفه البطريرك مخلوف. وقد ذكر الاب اميو اليسوعي في رسالته المؤرخة في ٢١ آذار ١٦٤٤ انهُ رأى البطريرك جرجس عميرة في بيروت هاربًا من جور باشا طرابلس الذي كان يضطهده وقابله الاب المذكور في تلك المدينة واشار عليهِ ان يكتب الى ملك فرنسة طالبًا منهُ ان يوصي بهِ وبطائفتهِ سفيره في الاستانة حتى يحصّل امرًا من الصدر الاعظم بكفّ الظلم والاضطهاد. ففعل البطريرك بمشورة الاب وكتب الى الملك فاجابه الى طلبه واوعز الى السفير ان يُعنى شديد العناية بالموارنة واكليرسهم

وفي ١٥ ايار ليلة عيد العنصرة انتقل من دار الشقاء الى دار البقاء الحبيس الافرنسي والعالم الشهير فرنسيس ده شسطويل بعد ان قضى في محابس لبنان اثنتي عشرة سنة مثابرًا على اعمال التقشف والنسك منقطعًا الى مطالعة الكتب المقدّسة حتى اصبح قدوة الجميع بفضائله ومرجعًا لهم في مشكلاتهم. وكانت روابط الصداقة تربطه بالبطريرك جرجس عميرة الذي أُعجب بصفاته وعمله حتى انهُ كان يستشيره في الامور المعقدة ويطلب صلواته. كما ان الحبيس التقي كان يقدّر فضل البطريرك حق قدره ويثني عليهِ كل الثناء (١

١) راجع حياة هذا الحبيس التقي في مجلة المشرق للاب بطرس ساره اللبناني (١٩٣٢)

وكان لموت الحبيس المذكور تأثير مفجع في قلوب اهل البلاد وخصوصاً في فؤاد صديقه البطريرك عميرة الذي كانت الشدائد والاضطهادات انهكت قواه فضلًا عن عبء الشيخوخة فما لبث ان برح هـذه الفانية هو ايضاً بعد موت صديقه بشهرين ونصف اي في ٢٩ تموز ١٦٤٤ في اليوم الذي انتقل فيه الحبر الاعظم اوربانوس الثامن الى راحة الصالحين فشمل الحزن طائفته ومعارفه العديدين ويكفينا ان نذكر هنا ما وصفه به عارفوه حتى نعلم عظم الخسارة التي حلّت بالطائفة المارونيّة بموته

قال صاحب ترجمة ده شسطوريل عن هذا البطريرك وفي كلامه موجز حياة عميرة النقية المملوءة من اعمـال الغيرة: «ان الرجل الشهير جرجس عميرة ارتقى الى السدة البطريركية بفضله وهو الذي كان الموارنة بل شعوب جبل لبنان كلها يعتدُّونه كابيهم فانـه كان عضد الديانة الكاثوليكية وقام بمهامّ وظيفته سنوات عديدة حـائزاً استحسان الجميع عائشاً بزهد كلي دعاه الله اليه ليمنحه جزاء اعماله الصالحة فشمل الحزن والاسف كنيسة جبل لبنان لانها حُرمت اقوى سندها وخسرت خسارةً تكاد لا تعوَّض بما ان الطيب الذكر كان متصفاً بصفات نادرة وحاصلًا على منزلة عالية فانه كان مملوءاً حكمة وعلماً يضيء كالمنارة في كل مكان. بلغ تواضعه واعتداله مبلغاً اكسبه قلوب كل من وصل اليهم نوره. وكان متحلّياً بفطنة نادرة لمعرفـة الارواح والتمييز بينها تلك الارواح التي ينقاد اليها البشر في اعمالهم وكانت غيرته تتجلّى في كل ما كان يبذله من المساعي لحفظ قلوب المؤمنين في جادّة التعاليم الانجيليّة الصحيحة يمزج الصرامة بالرفق فيحمل القلوب الاشدّ صلابةً على الانقياد اليه صاغرة راضية . وكان يعتبر الفقراء اخوته يرقب دائماً حاجاتهم ويخفّف من وطأتها قدر المستطاع ويضطرّ الاغنياء بمثله على ان يساعدوهم . وكان راعياً اميناً يرعى قطيع المسيح لا يفتش عن القوت يملاء به جوفه. ولم تكن المشقات وسواها من المتاعب كالسهر الدائم والاهتمام المتواصل المرتبطة بوظيفته لتُقعده عن التفرُّغ لعمله وعن التيقظ الواجب ليُقصي الذئاب والاسد الزائرة التي كانت تسعى الى افتراس رعيته. وبوجيز العبارة نقول انه كان راعياً عجيباً ممتـازاً بصفات نادرة حتى انهُ خُيل الى الجميع حين دُفن ان قد أُخذ معه كل الذين كان يمكن ترقيتهم الى البطريركيَّة »

والنبذة المتوفاة التي نشرها بعد ذلك على حدة

واطراه الابوان مانيليه وستلّا اليسوعيان ووصفه ده لاروك بقوله انهُ انتخب للبطريركيَّة بداعي فضله الممتاز وتفوُّقه في اللاهوت وسيرته الطاهرة . وأيد هذه الشهادات الحبر الاعظم الذي دعاه نور الكنيسة الشرقيَّة وعمادها في رقيمه الى البطريرك يوحنَّا مخلوف واثنى عليهِ ثناءً مستطاباً في براءة التثبيت

وقال عنهُ الدويهي انهُ كان ذا عقل رصين فائق وافر العبادة شديد الغيرة على نموّ الايمان المقدَّس أرشد قومه بكل تقوى

وذكر الخوري يوسف مارون الدويهي انهُ سنة انتقل البطريرك يوحنَّا الصفراوي ١٦٥٦ الى دار البقاء فتحوا مغارة القديسة مارينا في قنوبين حيث كان يُدفن البطاركة فشاهدوا جسد البطريرك جرجس عميرة بعد نياحته باثنتي عشرة سنة كانه حيّ يُرزق ماسكاً بيده الكأس وعلى رأسه التاج وهو جالس على الكرسي فاخذوا الكأس وابقوها ذكرًا في الكنيسة البطريركيَّة

وهاك تقريظه باللغة اللاتينيَّة وضعهُ تلامذة المدرسة المارونيَّة بمناسبة مرور مائة سنة على تأسيس تلك المدرسة ندرجه باللاتينيَّة وننقله الى العربيَّة صوناً لهُ من الفقدان وقد وجدناه في كتاب عزيز جدًّا منهُ نسخة في مكتبة الآباء اليسوعيين الشرقيَّة

Ades Hospes— Hic lingua præstantior,— An ingenio fuerit, incertum est. — Linguas calluit omnes — Nec immeritò ; — Vitiis olim linguarum confusio : —Virtuti nunc linguarum cognitio debetur.— Ingenio Divinitatis latebras pervasit, — Quin viso caligaret a lumine. — In hoc etiam cum virtute consentiens,— Quod impios hostes habuerit. — Felix quod aliis, sibique imperaret : — Felicior, quod Cœli Vicario, nec citra periculum paruerit.

انصت الينا ايها الضيف (المدعو الى الحفلة)

لا يمكن الجزم في هل تفوّق (الممدوح) في اللغات او بالذكاء . فانهُ امتاز بكل صواب في جميع اللغات . ان بلبلة الالسن سببتها الرذائل في ما مضى واما معرفة اللغات الان فهي ثمرة الفضيلة . انهُ سبر غور العلوم الالهية بذكائهِ دون ان يعمي بصره النور الذي تجلى وبهذا ايضًا يتفق مسراهُ مع الفضيلة انَّ المنافقين صاروا لهُ اعداء فكان سعيدًا بتسلطه على الاخرين كما ملك نفسه بل كان حظه اسمى لانه اطاع نائب المسيح معرضًا نفسه للاخطار

تلك حياة هذا البطريرك الجليل وهو اوَّل البطاركة الذين تهذَّبوا في المدرسة

المارونيَّة الاولى فخدم طائفته كاهناً واسقفاً وبطريركاً مدَّة ٤٨ سنة بتآليفه وارشاداته وامثال فضيلته الممتازة . ويزيد فضلَه رواء وعظمتَه سناء المحنُ التي قاساها في سياسة الكرسي الانطاكي

ثم انهُ كان يرغبُ في اصلاح ما يجب اصلاحه من الشؤون في طائفته فاضطرَّ ان يسلك مسلكاً لم يَرُقِ الذين تعوَّدوا ان يسيّروا البطريرك على مقتضى مشاربهم واغراضهم الزمنية

ولمَّا كان يسعى في توثيق العرى التي تربط طائفته بالكنيسة الرومانية ويجتهد في ان يدخل اليها الاصلاح الواجب حتى تصبح صورة كاملة لتلك الامّ والمعلّمة اقام خصومه العقبات في وجهه ولا يبعد ان يكون قد وُشي بهِ انهُ ممن يريدون ان يخضع طائفته لسلطة اجنبيَّة كما حدث مرارًا في تاريخ الطائفة المارونيَّة . وقد سردنا امثالاً لذلك في كتابنا «صديقة ومحامية»

ولذا تعرقلت بعض مساعيه على انهُ لو لم يكن ذا فضيلة فائقة وحكمة نادرة وغيرة رسولية وعلم واسع واهابة عظيمة لتعذّر عليهِ اتيان عمل ما من الاعمال التي تشهد بتفوقه

فذكرُ هذا البطريرك جديرٌ بان يردّده الموارنة بفخر لانهُ شرّف الكرسي البطريركي بمناقبه السامية وجعل للموارنة سمعة طيّبة في الغرب بتآليفه وخدم الطائفة خدمات جلّى فاستحق اطراء الدويهي واستوجب اعجاب الاجانب الذين عرفوه مرسلين كانوا او علمانيين . ولذا نشرنا حياته لئلّا يُطمس على فضل الرجال الذين خدموا وطنهم والكنيسة فنقتفي جميعاً آثارهم المجيدة

وليُسمح لنا ان نضيف الى ما تقدم التقريظ الذي استحقهُ المطران بطرس ضوميط مخلوف وقد عثرنا عليهِ في الكتاب الذي ورد ذكره بعد ان كنا نشرنا ترجمة هذا الحبر الابرّ

In sacro S. Antonii Sodalitio – Præclarissimus Cœnobita—Depressit in claustro animum, — Ut supra mortalem conditionem attolleret. —Plurima extruxit Cœnobia, quibus etiam præfuit.—Sed quamdiu cum eius moderatione pugnandum fuit ! — Renuit aliis præesse, simulque — Dignissimum se facit, vt præsit:—Nihil ab illo magis ex

despicientia factum est,— Quam imperare. — Cæterum ita Cœnobia administravit invitus — Ut vel inde apparuerit, felicissimam esse Rempublicam — Quæ a nolentibus gubernaretur.— Inde Archiepiscopus Nicosiæ renunciatus—A Schismaticis oppugnatus sæpius fuit,— Nunquam expugnatus. — Religionis cultum — Scriptis, colloquiis, sed magis exemplo ampliavit

راهب فريد في رهبانية القديس انطونيوس قد قهر نفسهُ في المحبة كي يرفعها فوق حالة الانسان المائت. بنى اديرة كثيرة وترأس عليها ولكن كم اقتضى لذلك من التغلُّب على تواضعه. ابى ان يرئس الغير وبالوقت ذاته اهّل نفسه لان يكون رئيساً ولم يكن أكرَه اليهِ من ان يتسلط على الغير فضلًا عن انهُ أُرغم على ترؤس الاديرة حتى اظهر بعمله ان احوال الجمهور تكون على غاية ما يُرام اذا ادارها من لا يريد السيادة . ثم جُعل مطراناً على افقسية فاكثر المنفصلون من اضطهادهِ لكنهم لم يقدروا عليهِ. نشر اعلام الديانة وبسط نفوذها بكتاباته ومحادثاتهِ وخصوصاً بامثالهِ

وقد رُوي لنا ان المطران مخلوف مدفون في دير مار يوحنا زكريت الذي كان قد رمَّمهُ فاثبتنا ذلك صوناً لهُ من الضياع

شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

٨ حُنَين الحيري الشاعر المغني

﴿تعريفهُ ودينهُ﴾ قال ابو الفرج في الاغـاني (٢ : ١٢٠) : « حُنَين بن بلوع الحيري مختلَفٌ في نسبهِ فقيل انهُ من العباديّين وقيل انهُ من بني الحرث بن كعب

وقيل انهُ من قوم بقوا من جديس وطسم فنزلوا في بني الحرث بن كعب فعُدُّوا فيهم . ويكنّى ابا كعب وكان شاعرًا مغنيًا فحلًا من فحول المغنين وله صنعة فاضلة متقدمة وكان يسكن الحيرة ويكري الجمال الى الشام وغيرها وكان نصرانيًا » (١

وقال صاحب مسالك الابصار (Ms du Caire, 336-337) في فصله الذي خصَّهُ بمشاهير اهل الموسيقى : « حُنَين الحيري مُطرب لا يرتفع اليه رأس مطرق ، ولا ينتفع معهُ امل متشوّق ، من سُراة اهل الغناء ، وبُراة الطرب للعناء ، يكاد سامعهُ يخرُج من إهابهِ ، ويُحرَق بالتهابهِ ، ما حرَّك عودَهُ الّا فهم ، ولا بنتَ شفتيهِ الّا في نغم ، لو سمعهُ جبل لتحرَّك ، او دخل في أذن سوقةٍ لظنَّ انهُ قد تملَّك »

﴿اخبارهُ﴾ لحنين الحيري النجفيّ العباديّ اخبار كثيرة تولّى جمعها اسحاق بن ابرهيم الموصلي في كتاب دعاهُ « اخبار حنين الحيري » ذكرهُ ابن النديم في الفهرست (ص ١٤١) وذكر ايضًا كتابًا آخر مثلهُ (ص ١٤٨) لابي أيوب المدينيّ . وبهما دليل على مقام حنين . واليهِ تُنسب الحُنينيَّات التي ورد ذكرها في شعر دعبل الخزاعي في هجوهِ لابرهيم بن المهديّ المغني الشهير وكان البعض بايعوهُ بالخلافة فأتاهُ قومٌ ينتجعون عطاءهُ وهو لا يستطيع ان يرفدهم بشيء . فقال دعبل يهجو ابرهيم :

يا معشر الاجناد لا تقنطوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تُعطَون حُنَينيَّةً يلتذُّها الأمردُ والاشمطُ
والمَعبديَّاتُ لقوَّادكم لا تدخلُ الكيس ولا تُربطُ
وهكذا يُرزقُ قوّادُهُ خليفةٌ مُصحَفُهُ البربَطُ

قالوا الحُنينيَّات اغاني منسوبة الى حنين النجفيّ العبادي المغني الشهير والمَعبديَّات منسوبة الى مَعبد المغنّي والبربط آلة تشبهُ العود فارسي معرَّب (نزهة الجليس ١ : ٢٦٧— ٢٦٨)

سبق قول ابي الفرج انَّ حنينًا كان شاعرًا ومغنيًا . امَّا شعرهُ فلم يبقَ منهُ الّا القليل . وامَّا غناؤهُ فكثير ولهُ الاصوات المتعدّدة التي ذكرها في الاغاني في اماكن عديدة منها . وربَّما كان يتغنّى بشعرهِ وهو القائل يصف الحيرة ومنزلهُ بها قال (من المنسرح) :

---

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة Jour. As., 1872², 425-433

اناحنينٌ ومَنزلي النَّجفُ (١ وما نديمي الّا الفتى القَصِفُ
أقرعُ بالكاس ثغر باطيةٍ (٢ مُترعةٍ تارةً وأغترفُ
من قهوةٍ باكرَ التّجارُ بها بيتَ يهودٍ قرارُها الخزَفُ
والعيشُ غضٌّ ومنزلي خَصِبٌ لم تَغذُني شقوةٌ ولا عَنَفُ (٣

فالشعر والغناء كلاهما لحنين

ومن اخبار حنين ما رواهُ عنهُ حمّاد الراوية قال (الاغاني ٢ : ١٢٢) : قرأتُ على ابي عن المدائني قال : كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة وكان لطيفاً في عمل التحيّات . فكان اذا حمل الرياحين الى بيوت الفتيان ومياسير اهل الكوفة واصحاب القيان والمتطربين الى الحيرة ورأوا رشاقتهُ وحسن قدّهِ وحلاوتَهُ وخفّةَ روحهِ استحلوهُ واقام عندهم وخفَّ لهم . فكان يسمع الغناء ويشتهيهِ ويُصغي اليهِ ويستمعهُ ويطيل الاصغاء اليهِ فلا يكاد ينتفع بهِ في شيء اذا سمعهُ حتى شدا منهُ اصواتاً فأسمعها الناس وكان مطبوعاً حسن الصوت واشتهوا غناءَهُ والاستماع منهُ وعشرتَهُ وشُهر بالغناء ومهر فيه وبلغ منهُ كثيرًا . ثمَّ رحل الى عمر بن داود الوادي والى حكَم الوادي واخذ منهما وغنّى لنفسهِ في اشعار الناس فاجاد الصنعة واحكمها ولم يكن بالعراق غيرهُ فاستولى عليهِ في عصرهِ

وجاء في اخبار حنين لابي ايوب المدائني . انَّ ابن محرز احد كبار المغنّين قَدِم وقتئذٍ الكوفة وبها الامير بشير بن مروان وقد بلغهُ انهُ يشرب الشراب ويسمع الغناء فصادفهُ قد خرج الى البصرة وبلغ خبرُهُ حنين بن بلّوع فتلطَّف لهُ حتى دعاهُ فغنّاهُ ابن محرز لحناً من جيّد الاغاني فسمع حنين شيئاً هالَهُ وحيَّرهُ فخشي ان يعرفهُ الناس فيستحلونهُ ويستولي على البلد فيسقط هو فقال لابن محرز : كم منَّتكَ نفسكَ من العراق قال : الفَ دينار . فقال : فهذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتُكَ في

١) روى البكري في معجم ما استعجم : وداري النجفُ
٢) ويروى : اقعرُ بالكاس بطنَ باطيةٍ ٣) ويروى : فالعيش غضٌّ . لم يعزني

عَوْدتك وبداءتك ودَع العراق وامض مُصاحَباً حيث جئت واحلف انك لا تعود للعراق. (قال) وكان ابن محرز صغير الهمَّة لا يحبّ عِشرة الملوك ولا يؤثر على الخلوة شيئاً فاخذها وانصرف

وقد اخبر حمَّاد الراوية عن حنين (الاغاني ٢: ١٢١) انَّ هشام بن عبد الملك حجَّ مع عديلهِ الابرش الكلبيّ فوقف لهُ حنين بظهر الكوفة معهُ عودهُ وزامرٌ لهُ وعليهِ قلنسوة طويلة. فلمَّا مرَّ بهِ هشام عرض لهُ فقال: من هذا؟ فقيل لهُ: حنين. فأمر بهِ فحُمل في محمل على جمل وعديلهُ زامرُهُ وسيَّرهُ امامهُ وهو يتغنَّى (من مجزوء الوافر):

أَمِنْ سَلمى بظَهْر الكو فةِ الآياتُ والطَلَلُ
يلوحُ كما تلوحُ على جفونِ الصيقَل الخَلَلُ

(قال) فلم يزل هشام يستعيدُ الصوت حتى نزل من النجف فامر لهُ بمائتي دينار وللزامر بمائة

واخبر اسحاق الموصلي (الاغاني ٢: ١٢٢—١٢٣) انَّ والي العراق خالد بن عبدالله القسري حرَّم الغناء بالعراق في ايَّامهِ. ثمَّ أذِنَ للناس يوماً في الدخول عليهِ فدخل حنين ومعهُ عودهُ تحت ثيابهِ فقال: أصلح الله الامير كانت لي صناعة أعودُ بها على عيالي حرَّمها الامير فاضرَّ بي وبهم. فقال: وما صناعتك؟ فكشف عن عودهِ وقال: هذا. فقال: غنِّ. فحرَّك اوتارهُ وغنَّى (في شعر عدي بن زيد العبادي):

أَيها الشامتُ المعيّرُ بالدهـ ـرِ أَأَنت المُبرَّأُ الموفورُ
ام لديكَ العهدُ الوثيق من الأيـ ـام بل انت جاهل مغرورُ
مَنْ رأيتَ المنونَ خلَّدنَ ام مَنْ ذا عليهِ من ان يُضامَ خفيرُ

(قال) فبكى خالد وقال: « قد اذنتُ لك وحدك خاصَّةً فلا تجالسنَّ سفيهاً ولا معربداً». فكان اذا دُعي قال: أفيكم سفيه او معربد؟ فاذا قيل لهُ: لا. دخل

ومن ظريف ما روي عن الشعبيّ انهُ قال (الاغاني ٢: ١٢٣): لمَّا ولي بشر بن مروان الكوفة كنتُ على مظالمهِ فأتيتُهُ عشيَّةً وحاجبُهُ أعيَن صاحب «حمَّام أعيَن» جالسٌ. فقلتُ: « أعلِمْهُ وخَلاكَ ذمٌّ فقد حدَثَ امرٌ لا بُدَّ لي من انهائهِ اليهِ » وكان لا يجلس بالعشيّ. فقال: لا ولكن اكتب ما حاجتك في رقعةٍ حتى أوصلها اليهِ. فكتبتُ رقعة فما

لبث ان خرج التوقيع على ظهرها: ليس الشعبي ممَّن يُحتشم منهُ . فأذن لي فقال: ادخل . فدخلتُ فاذا بشر بن مروان عليه غِلالة رقيقة صفراء ومُلاءة تقوم قياماً من شدَّة الصِقال وعلى رأسهِ اكليل من رَيحان وعلى يمينهِ عِكرمة بن ربعيّ وعلى يسارهِ خالد ابن عتَّاب بن ورقاء واذا بين يديهِ حُنين بن بلُّوع معهُ عودهُ . فسلَّمتُ فردَّ عليَّ السلام ورحَّب وقرَّب ثمَّ قال: يا ابا عمرٍو لو كان غيرك لم آذن لهُ على هذه الحال . فقلتُ : أصلح الله الامير عندي اك الستر لكلّ ما ارى منك والدخول معك فيما لا يَجمل والشكر على ما توليني . فقال: كذاك الظنُّ بك . ثمَّ التفتَ الى حنين وعودُهُ في حِجرهِ وعليهِ قَباء خشك شوى (وقال اسحاق : خشكون) ومِنَشّة حمراء وخفَّان مكعَّبان فسلَّم عليَّ : فقلتُ لهُ : كيف انت يا ابا كعب ؟ فقال: بخيرٍ ابا عمرو . فقلتُ : أحزِق الزِير وأرخِ البمّ . ففعل وضرب فاجاد . فقال بشر لاصحابهِ : تلومونني على ان آذن لهُ في كلّ حال . ثمَّ اقبل عليَّ فقال: ابا عمرٍو ومن اين وقع لك حَزق الزير ؟ فقلتُ: ظننتُ انَّ الامر هناك . قال: فانّ الامر كما ظننتَ هناك كلهُ : ثمَّ قال: فمن اين تعرف حنيناً ؟ فقلتُ: هذا بطَّة أعراسنا فكيف لا أعرفهُ . فضحك وغنى حنين فاجاد فطرب الامير وامر لهُ بجائزة ثمَّ ودَّعتهُ وذلك بعد ان ذكرتُ لهُ ما جئتُ فيهِ فامر لي بعشرة آلاف درهم وعشرة اثواب فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منهُ وانصرفت

وقد جرى لحنين مع اهل حمص فصلٌ مضحك اخبر بهِ فقال (الاغاني ٢ : ١٢٣) : خرجتُ الى حمص التمس الكسبَ بها وأرتاد مَنْ استفيدُ منهُ شيئاً . فسألتُ عن الفتيان واين يجتمعون فقيل لي: عليك بالحمَّامات فانهم يجتمعون بها اذا أصبحوا . فجئتُ الى احدها فدخلتُ فاذا فيها جماعة منهم فأنِستُ وانبسطتُ واخبرتهم انّي غريب ثم خرجوا وخرجتُ معهم فذهبوا بي الى منزل احدهم . فلمَّا قعدنا أُتينا بالطعام فاكلنا وأُتينا بالشراب فشربنا فقلتُ لهم: هل لكم في مغنٍ يغنّيكم ؟ قالوا: ومن لنا بذلك ؟ قلتُ: انا لكم . هاتوا عوداً . فأُتيتُ بهِ فابتدأتُ في هنيَّات ابي عُباد مَعبَد . فكأنَّما غنَّيتُ للحيطان لا فَكِهوا لغنائي ولا سُرُّوا بهِ . فقلتُ: ثقُل عليهم غناء معبد لكثرة عملهِ وشدَّتهِ وصعوبة مذهبهِ . فأخذتُ في غناء الغريض فاذا هو عندهم كلا شيء . وغنَّيتُ خفائف ابن سُريج واهزاج حكَم والاغاني التي لي واجتهدتُ في ان يفهموا فلم يتحرَّك من القوم احد وجعلوا يقولون: ليتَ ابا مُنبه قد جاءنا . فقلتُ في نفسي :

أرى انّي سأفتضح اليوم بابي منبه فضيحة لم يفتضح بها احد قطّ مثلها. فبينا نحن كذلك اذ جاء ابو منبّه واذا هو شيخ عليه خفّان احمران كأنّهُ جمّال فوثبوا جميعاً اليهِ وسلّموا عليهِ وقالوا : يا ابا منبّه ابطأتَ علينا . وقدّموا لهُ الطعام وسقوهُ اقداحاً وخنّستُ انا حتى صرتُ كلا شيء خوفاً منهُ . فاخذ العود ثمّ اندفع يغني

طَرِبَ البحرُ فاعبري يا سفينه　　لا تشقّي على رجال المدينه

واقبلَ القوم يصفّقون ويطربون ويشربون . ثمّ اخذ في نحو هذا من الغناء . فقلتُ في نفسي : انتم ها هنا لئن اصبحتُ سالماً لا أمسيتُ في هذه البلدة . فلمّا اصبحتُ شددتُ رحلي على ناقتي واحتقبتُ ركوةً من شراب ورحلتُ متوجّهاً الى الحيرة وقلتُ (من الخفيف) :

ليت شِعري متى تخُبُّ بيَ النا　　قةُ بين السَّدير والصِّنّينِ
مُحتقِباً ركوةً وخبزَ رقاقٍ　　وبُقولاً وقطعةً من نُونِ
لستُ ابغي زاداً سواها من الشا　　مِ وحسبي عُلالةٌ تكفيني
فاذا أُبتُ سالماً قلتُ سحقاً　　وبعاداً لمعشرٍ فارقوني

وقد استطرد صاحب الاغاني(٢ : ١٢٥)فروى فصلاً في ذكر الحيرة واهلها ننقلهُ هنا عنهُ قال : كان بعض ولاة الكوفة يذمُّ الحيرة في أيّام بني اميّة فقال لهُ رجلٌ من اهلها وكان عاقلاً ظريفاً : أتعيبُ بلدةً بها يُضرَب المثل في الجاهليّة والاسلام . قال : وبماذا تُمدَح ؟ قال : «بصحّة هوائها وطيب مائها ونزهة ظاهرها تصلحُ للخُفّ والظِلف . سهلٌ وجبل ، وبادية وبستان ، وبرٌّ وبحر ، محلّ الملوك ومزارهم ، ومسكنهم ومثواهم ، وقد قدمتَها اصلحك الله مُخفّاً فرجعتَ مُثقلاً ودُرتَها مُقلّاً فأصارتك مُكثِراً» . قال : وكيف تعرف ما وصفتَها بهِ من الفضل ؟ . قلتُ : بان تصير اليَّ ثمّ أدعُ ما شئتَ من لذات العيش فوالله لا اجوز بك الحيرة فيه . قال : فاصنع لنا صنيعاً واخرج من قولك . قلتُ : أفعل . فصنع لهم طعاماً واطعمهم من خبزها وسمكها وما صِيدَ من وحشها من ظباء ونعام وارانب وحُبارى وسقاهم ماءها في قِلالها وخمرها في آنيتها واجلسهم على رقمها وكان يتّخذ بها من الفرش اشياء ظريفة ولم يستخدم لهم

حرًا ولا عبدًا الّا من مولّديها ومولّداتها من خدم ووصائف كأنهم اللؤلؤ لغتهم لغة اهلها ثمّ غنّاهم حنين واصحابهُ في شعر عدي بن زيد شاعرهم واعشى همدان لم يتجاوزهما وحيّاهم برياحينها ونقّلهم على خمرها وقد شربوا بفواكهها ثمّ قال لهُ: هل رأيتني استمتعتُ على شيء مما رأيتَ واكلتَ وشربت وافترشتَ وشممتَ وسمعت بغير ما في الحيرة؟. قال: لا والله ولقد احسنتَ صفة بلدك ونصرتَهُ فاحسنتَ نصرتَهُ والخروج ممّا قد تضمّنتهُ فبارك الله لكم في بلدكم

وبقي حنين يتردّد في البلاد الى ايّام شيخوخته: حدّث شيخ من المكّيين يقال لهُ شريس قال: أنا لبالأبطح (في مكّة) ايّام الموسم نشتري ونبيع اذ اقبلَ شيخٌ ابيض الرأس واللحية على بغلة شهباء ما ندري أهو اشدُّ بياضًا ام بغلتهُ ام ثيابهُ فقال: اين بيت ابي موسى؟ فأشرنا لهُ الى الحائط فمضى حتى انتهى الى الظلّ من بيت ابي موسى ثمّ استقبلنا ببغلته ووجهه ثمّ اندفع يغنّي في شعر لكثير:

أسعديني بدمعةٍ أسرابِ   من دموعٍ كثيرة التسكابِ

(قال) ثمّ صرف الرجلُ بغلتهُ وذهب فتبعناهُ حتى ادركناهُ فسألناهُ من هو . فقال: « انا حنين بن بلوع وانا رجل جمّال اكري الابل » ثمّ مضى

وقد اخبر ابرهيم بن المهدي (الاغاني ٢: ١٢٥-١٢٦) بخبر سمعهُ من حفيد حنين قال: كنتُ مع الرشيد في السنة التي نزل فيها على عون العبادي. فأتاني عون بابن ابن حنين بن بلوع وهو شيخ فغنّاني عدّة اصوات لجدّه فما استحسنتُها لان الشيخ كان مشوّه الخلق طنّ الغناء قليل الحلاوة الّا انهُ كان لا يفارق عمود الصوت ابدًا حتى يفرغ منهُ فغنّاني صوتَ ابن سُريج (في قول عنترة):

فتركتُهُ جَزَرَ السباع يَنُشْنَهُ   ما بين قُلّةِ رأسهِ والمعصمِ

فما اذكرُ اني سمعتهُ من احدٍ قطّ احسن ممّا سمعتهُ منهُ فقلتُ: لقد احسنتَ في هذا الصوت وما هو من اغاني جدّك ولا من اغاني بلدك واني لأعجبُ من ذلك . فقال لي الشيخ: والصليبِ والقربان ما صُنع هذا الصوت الّا في منزلنا وفي سرداب جدّي ولقد كاد ان يأتي على نفس عمّي. فسألتهُ عن الخبر في ذلك فقال: حدّثني ابي انّ عبيدالله بن سريج قدم الحيرة ومعهُ ثلثمائة دينار اتى بها منزلنا في ولاية بشر بن مروان الكوفة وقال: انا رجل من اهل الحجاز من اهل مكّة بلغني طيبُ الحيرة

وجودة خمرها وحسن غنائك في هذا الشعر (من الوافر) :

حَنَتْني حانياتُ الدهر حتَّى كأنّي خاتلٌ يدنو لصَيدِ
قريبُ الخطوِ يَحسبُ من رآني ولستُ مقيَّدًا أنّي بقيدِ

فخرجتُ بهذه الدنانير لأُنفقها معك ونتعاشر حتى تنفد وأنصرف الى منزلي . فسألهُ جدّي عن اسمهِ ونسبهِ فغيَّرهما وانتمى الى بني مخزوم فأخذ جدّي المال منهُ وقال: «موفَّرٌ مالكَ عليك ولك عندنا كلّ ما يحتاج اليهِ مثلك ما نشطتَ للمقام عندنا فاذا دعتك نفسك الى بلدك جهَّزناك اليهم ورددْنا عليك مالك وأخلفنا ما انفقتهُ عليك ان جئتنا» . وأسكنهُ دارًا كان ينفرد فيها فمكث عندنا شهرين لا يعلم جدّي ولا احد من اهلنا انهُ يغني حتى انصرف جدّي من دار بشر بن مروان في يوم صائف مع قيام الظهيرة فصار الى باب الدار التي كان انزل ابنَ سريج بها فوجدهُ مغلقًا فارتاب بذلك ودقّ الباب فلم يُفتح لهُ ولم يُجبْهُ احد فصار الى منازل الحرَم فلم يجد فيها بنتهُ ولا جواريها ورأى ما بين الدار التي فيها الحرم ودار ابن سريج مفتوحًا فانتضى سيفهُ ودخل الدار ليقتل ابنتهُ . فلمَّا دخلها رأى ابنتهُ وجواريها وقوفًا على باب السرداب وهنَّ يومئنَ اليهِ بالسكوت وتخفيف الوطء . فلم يلتفت الى اشارتهنَّ لِما تداخلهُ الى ان سمع ترنُّم ابن سريج بهذا الصوت فألقى السيف من يدهِ وصاح بهِ وقد عرفهُ من غير ان يكون رآهُ ولكن بالنعت والحِذق : « ابا يحيى جُعلتُ فداءك اتيتنا بثلثمائة دينار لتُنفقها عندنا في حيرتنا فوحقّ المسيح لا خرجتَ منها الّا ومعك ثلثمائة دينار وثلثمائة دينار وثلثمائة دينار سوى ما جئتَ بهِ معك» . ثمّ دخل اليهِ فعانقهُ ورحَّب بهِ ولقيهُ بخلاف ما كان يلقاهُ بهِ وسألهُ عن هذا الصوت فاخبرهُ انهُ صاغهُ في ذلك الوقت فصار معهُ الى بشر بن مروان فوصلهُ بعشرة آلاف درهم اوَّل مرَّة ثمَّ وصلهُ بعد ذلك بمثلها . فلمَّا اراد الخروج ردَّ عليهِ جدّي مالهُ وجهَّزهُ ووصلهُ بمقدار نفقتهِ التي انفقها من مكَّة الى الحيرة ورجع ابن سريج الى اهلهِ وقد اخذ جميعُ من كان في دارنا منهُ هذا الصوت

وقال اسحاق الموصلي (الاغاني ٢ : ١٢٥) : لم يكن بالحيرة مذكور في الغناء سوى حنين الّا نفرًا من السدريين (١ يقال لهم عباديس وزيد بن الطليس وزيد بن كعب

١) السِدْريُّون قومٌ من العلويّين

ومالك بن حمّة وكانوا يغنّون غناء الحيرة بين الهزج والنَّصب وهو الى النصب اقرب ولم يَدَروا منهُ شيئاً لسقوطهِ وانهُ ليس من اغاني الفحول وما سمعنا نحن لاحد من هؤلاء خبرًا الّا لمالك بن حمّة . وقال اسحاق (الاغاني ٢ : ١٢١) قيل لحنين : انت تغنّي منذ خمسين سنةً ما تركتَ لكريمٍ مالًا ولا دارًا ولا عقارًا الّا اتيتَ عليهِ . فقال : بأبي انتم انّما هي أنفاسي أقسمها بين الناس أفتلوموني ان أُغلي بها الثمن

وقال وكيع في خبرهِ عن اسحاق : عاش حنين بن بلوع مائة سنة وسبع سنين وكان يقال انهُ من جديس . (قال) وقيل ايضاً انهُ من لخم وكان هو يزعم انهُ عباديّ واخوالهُ من بني الحرث بن كعب

امّا سبب موتهِ فما حدَّث بهِ حفيدهُ عبيد قال (الاغاني ٢ : ١٢٧) : كان المغنّون في عصر جدّي اربعة نفر ثلاثة بالحجاز وهو وحدهُ بالعراق والذين بالحجاز ابن سُريج والغريض ومعبد فكان يبلغهم انَّ جدّي حنيناً قد غنى في هذا الشعر (وهو لعدي ابن زيد) :

هلّا بكيتَ على الشبابِ الذاهبِ ... وكففتَ عن ذمّ المشيبِ الآيبِ
هذا وربَّ مُسوّفين سقيتُهم ... من خمر بابلَ لذّةً للشاربِ
بكروا عليَّ بسحرةٍ فصبحتُهم ... من ذات كُرْنيبٍ كقعب الحالبِ
بزجاجةٍ ملءُ اليدينِ كانها ... قنديلُ صبحٍ في كنيسة راهبِ

(قال) فاجتمعوا فتذاكروا امر جدّي وقالوا : ما في الدنيا اهل صناعةٍ شرٌّ منّا لنا اخٌ بالعراق ونحن بالحجاز لا نزورهُ ولا نستزيرهُ . فكتبوا اليهِ ووجّهوا لهُ نفقةً وكتبوا يقولون : نحن ثلاثة وانت وحدك وانت أولى بزيارتنا . فشخصَ اليهم . فلمّا كان على مرحلتهِ من المدينة بلغهم خبرهُ فخرجوا يتلقّونهُ فلم يُرَ يوم كان اكثر حشرًا ولا جمعاً من يومئذٍ . ودخلوا فلمّا صاروا في بعض الطريق قال لهم معبد : صيروا اليَّ . فقال لهُ ابن سريج : ان كان لك من الشرف والمروة مثل ما لمولاتي سكينة بنت الحسين (بن ابي طالب) عطفنا اليك . فقال : ما لي من ذلك شيء . وعدلوا الى منزل سكينة . فلمّا دخلوا اليها أذِنت للناس إذناً عامّاً فغصّت الدار بهم وصعدوا فوق السطح وامرت لهم بالاطعمة فاكلوا منها ثمّ انهم سألوا جدّي حنيناً ان يغنّيَهم صوتهُ الذي اوّلهُ «هلّا بكيت على الشباب الذاهب» فغنّاهم ايّاهُ بعد ان قال لهم :

ابدأوا انتم . فقالوا : ما كنّا لنتقدّمك ولا نغني قبلك حتى نسمع هذا الصوت . فغنّاهم أياهُ وكان من احسن الناس صوتاً فازدحم الناس على السطح وكثروا ليسمعوهُ فسقط الرواق على من تحتهُ فسلموا جميعاً وأُخرجوا اصحّاء . ومات حنين تحت الهدم فقالت سكينة عليها السلام : لقد كدّر علينا حنينٌ سرورنا انتظرناهُ مدّةً طويلة كأنّا والله كنّا نسوقهُ الى منيّتهِ

وقد ورد في اخبار حنين بن اسحاق المتطبّب (طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ١٨٩) نقلاً عن كتاب اللهو والملاهي للسرخسيّ انّهُ قال : وافاني في بعض الليالي أيامَ المتوكل رسلٌ من دار الخليفة يطلبونني ويقولون : الخليفة يريدك . ثمّ وافت بعدهم طائفة ثمّ وافاني زرافة فاخرجني من فراشي ومضى بي ركضاً حتى ادخلني الى الخليفة فقال : يا سيّدي هوذا حنين . (قال) فقال : ادفعوا الى زرافة ما ضمنّا لهُ . (قال) فدُفع اليهِ ثلاثون الف درهم ثمّ أقبل عليّ فقال : انا جائع فما ترى في العشاء ؟ فقلتُ لهُ في ذلك قولاً . فلمّا فرغ من اكلهِ سألتُ عن الخبر فقيل لي انّ مغنياً غنّاهُ صوتاً فسألهُ لمن هو فقال : لحنين بن بلّوع العبادي فامر زرافةَ بإحضار حنين بن بلوع العبادي فقال لهُ : يا امير المؤمنين لا اعرفهُ . فقال : لا بُدّ منهُ وان احضرتهُ فلك ثلاثون الف درهم . (قال) فاحضرني ونسي المتوكل السبب بما كان في رأسهِ من النبيذ وحضرتُ وقد جاع فاشرتُ عليهِ بان يقطع النبيذ ويتعشّى وينام ففعل

(لها بقيّة)

المهاجرة واضرارها

محاضرة القاها الاديب يوسف افندي ابو خاطر في جمعيَّة القديس يوسف المارونيَّة في بيروت بحضور خليل بك مطران مساء ٢٦ حزيران ١٩٢٤

تمهيد : البلاد بعد الحرب . لماذا نهاجر

وضعت الحرب العالميَّة اوزارها فتنفّس الناس الصعداء . وقال ابناء هذه البلاد

هو الهناء أقبل بعد الضيق . وهو الرغد بعد سني البؤس والشقاء

وكان ان تلك الحرب الطاحنة قد الحقت بالعالم اشدَّ الويلات وأوبل المصائب . وتركت وراءها آثار الدمار والخراب . فقلَّت اليد العاملة لفرط ما أريق من الدماء في ساحات الوغى ولكثرة مَنْ ذهبوا ضحايا المجاعة والاوبئة . فازدادت الحالة الاقتصادية سوءاً . وعمّت الضائقة والأزمة فكان لها صدًى مؤلم في بلادنا . فوقف دولاب الاعمال . وكسدت التجارة . وتراكمت الويلات والمصائب . فتشاءم الناس وقالوا : خابت الآمال فلا فائدة تُرجى من وراء البقاء في بلادٍ ضاقت بها سبل الرزق على ابنائها . وقاموا يركبون متن البحار الى ديار الغربة . ولم يلبث عدد المهاجرين ان ازداد زيادة هائلة حتى اقفرت اكثر القرى في هذا الجبل التاعس فهلعت قلوب المفكرين وتفطَّرت اكبادهم . ووقفت البلاد حائرةً واجمةً امام هذا المشهد الهائل وما زال هذا السيل الجارف يتدفق الى يومنا حتى اصبحت المهاجرة خطرًا وطنيًّا وجب على المفكرين تداركهُ ومنعهُ

ولا اشبه من اخطار المهاجرة المهدِّدة بلادنا بما يهدّد فرنسة اليوم من نقص عدد المواليد سنويًّا . الّا انهُ شتَّان بين أُمة تَعُد اربعين مليونًا من البشر . لها بين امم الارض المقام الاوَّل . لا يؤثر الّا بطيئًا في كيانها وتقدُّمها نقصان عدد معلوم من سكانها سنويًّا . وبين أُمة فقيرة مسكينة قليلة العدد . ما زالت في طور التكوُّن والارتقاء وتتأثَّر بذهاب فردٍ واحدٍ من ابنائها فكيف بها غدًا وقد غادرها الفريق الاكبر من سكانها ويتأهَّب الباقون للحاق بهم ؟

حالة المهاجر اليوم

لقد خيَّمت فوق بلادنا بعد هذه الحرب الضروس ازمةٌ اقتصاديَّة زادها المتشائمون هولًا . فخُيِّل الى اللبناني ان المال موجود بكثرة في ارض كولمبوس وان اسباب كسبهِ هناك متوفّرة وافية . فهل اللبناني على صواب في نظريته هذه ؟

لقد كان زمن ايها السادة تمكَّن فيهِ المهاجرون من الإثراء بسرعة وسهولة . امَّا اليوم فقد انقضى ذلك الزمن وعادت الامور الى مجراها الطبيعي كما في سائر بلاد الله فليس كسب الاموال هناك هيِّنًا بقدر ما نتوهَّم . بل ان دون بلوغ المهاجر الى نيل

قوته الضروري في ديار بعيدة ثانية مصاعبَ ومتاعب تخور امامها الهمم وتيأس النفوس وتضمحلّ العزائم

تمثلوا حالة لبناني مسكين مـلأوا رأسهُ خرافات واوهاماً عن احوال اميركا والمهاجرين اليها . وحشوا دماغه اباطيل دفعتهُ الى بيع كل ما يملك في ارض الوطن ليقطع ورقة سفر بالدرجة الثالثة . هبط الى بيروت فتلاعب بهِ سماسرتها ومحتالوهـا والبسوه ثياباً افرنجية وقبعة اصبح معهما كأحد ممثلي الروايات الهزليـة . واستنزفوا آخر فلس في جيبهِ ارواء لمطامعهم — وهم جماعة لا قلب لهم ولا شفقة — ثم قـذفوا بهِ على ظهر احدى البواخر وقالوا لهُ : الى حيث . . . .

تمثلوا حالة هذا المسكين وقد سارت بهِ الباخرة تمخر عباب الاوقيانوس . تهبط تارةً وتعلو اخرى . فيخال لهُ انهُ على جبل يسير وسط المياه الزاخرة . الى ان تلقي بهِ في ميناء مرسيليا . فينزل ويتجوَّل في شوارع تلك المدينة فيرى نفسه وحيـدا شريداً لا عون لهُ ولا مساعد يقف في احدى الشوارع الكبرى فتتمثَّل امامه قريتـه وحقارتها . ويتمنَّى لو أُتيحت لهُ العودة اليها والوقوف ثانية في ساحتها الصغيرة بين قومه واهلهِ واصحابهِ . فتجول في عينيه دمعة لايلبث ان يمسحها ويشدّد عزيته ويجدّد قواه . . . . ولكن مالي استوقفكم في مرسيلية ونحن لم نزل في اوَّل الطريق؟

تمثلوا حالة هذا المهاجر المسكين وقد أودع نفسه ثانية لباخرة تحمله بين المـاء والسماء . وقد توغلت بهِ في اقاصي البحار . الى ان تلقي مراسيها في احدى موانئ العالم الجديد . فيأتيهِ مـأمور الفحص والتفتيش . باحثين عن احواله . سائلين عن الاسباب التي حدت بهِ الى طاب الدخول الى اميركا . مـدققين في فحص جسده . والويل لهُ ان وجد فيهِ هؤلاء المفتشون اثراً لعلَّةٍ صحيحة كانت او مزعومة . فانهم يعيدونه حالاً من حيث اتى . لا يبالون أفي جيبه المال الكافي لذلك ام لا . . . .

وهب ان ادارة المهاجرة سمحت لـهُ بالدخول الى البلاد الاجنبية . هـا هوذا المهاجر اللبناني يتجوَّل في ازقَّة المدينة العظمى وشوارعها حائراً مبهوتاً لا يعي ما يرى ولا يفهم ما يتجلَّى امامهُ من عجائب المدنيَّة والفنّ الحديث . لقد بهرت عينه مشاهدُها حتى انهُ ليتساءل أفي يقظة هو ام في منام . ماذا ? أبعد رعي البقر والماعز . وبعد السير عارياً في المروج والحقول ? أبعد تنشُّق الهواء الطلق والتمتع بمحاسن الطبيعة ونعم

الله. أبعد تلك المعيشة الهادئة في قريته . ابعد تلك الليالي الجميلة في وطنه . يجد نفسه في مدينة كبيرة بين قوم يجهل لغتهم واخلاقهم وعوائدهم . تحت قوانين صارمة ونظامات قاسية يجب عليه التقيُّد بها . يجد نفسه في بلاد غريبة لا يعرف من سكانها احداً . في ديار نائية لا عون لهُ بها يُرجى الَّا من الله ومما في نفسهِ من عزمٍ وقوَّة ارادة ???.

لكنَّ اليأس لم يداخل بعد قلب هذا اللبناني والقنوط لم يستحوذ عليهِ . فالمجال لم يزل امامه فسيحاً . ومن يعلم ? فقد يكون لهُ في الغد الغنى المطلوب? وها هو في الغد يسعى وراء الرزق . ها هو يدور على البيوت والمخازن . يطلب العمل بتجارةٍ ام باخرى فيرجع بخفي حنين . وقد يمضي الغد يا سادة وما بعده وتمضي الايام والشهور ومواطننا المسكين يسير من سيء الى اسوأ . جهله للغة القوم يمنعهُ من مخالطتهم والاستفادة منهم . وطريقة معيشته الجديدة تشوّش افكاره . ومعالم المدنيَّة القائمة حواليه تذهب بالبقية الباقية من عقله . فيعلم ان ما علّل بهِ نفسهُ من الآمال لم يكن سوى برقٍ خُلَّب . وان البقاء في وطنه عزيزاً مكرَّماً احرى بهِ واولى . فإمَّا ان يقيم هناك عاملاً بسيطاً يتمكن بالكدّ وبعد العناء الكثير والتذلل من كسب قوتهِ اليومي . واما ان يعود ادراجهُ من حيث اتى نادباً زماناً مضى وعهداً تقضَّى في مزرعتهِ الحقيرة . ذاكراً ايام الطفولة والحداثة . باكياً على العمر يمضي من غير ما منفعة ولا استفادة

يرجع المهاجر الى وطنه فاماً ان يعود الى عمله الاوَّل . واذ ذاك فقد افقد نفسه وبلاده ما كان يمكنه ان يفعلهُ في سبيلهما مدة غيابه . واماً ان تدفعهُ عوامل العنف والكبرياء الى الترفع عن متابعة اعمالهِ السابقة واعمال اهله وذويه . فيقيم في حالة بطالة مخجلة . وكسل معيب . يدفع عنهُ عامل الضجر بعادات مشينة استفادها من ديار الغرب وكانت مع الامراض الفتّاكة التي قد تلحق بهِ إرثهُ الوحيد من تلك السفرة ونتيجة تحمُّله الاخطار والمشاق

ولكنني كلمتكم عن حالة مهاجر فرد في مقتبل العمر . غير ان هنالك مثالاً اشدَّ هولاً وادعى الى التألم والتأثر من مصير مواطنينا في تلك البلاد النائية . هنالك آباء يبيعون كل ما يملكونه في ارض الوطن ويهاجرون بنسائهم وصغارهم . هنالك

عائلات بأسرها تنزح عن لبنان الى ديار الغربة . لا يحسب اربابها لحوادث الايام حساباً وضعوا نصب اعينهم ان السعادة كل السعادة في المهاجرة . وقيل لهم ان المال متوفر في اميركا . فباعوا مـا يملكونه بالمزاد العلني وبابخس الاثمان . واستسلموا للقضاء والقدر . ويا لتعاستهم ولشقائهم يوم يقفون في ارض الغربة مكتوفي الايدي . ويوم يصرخ في وجههم صغارهم طالبين القوت . ويوم تعضهم الحاجة بنابها ولا يجـدون من حولهم معيناً او نصيراً !!!

وما قولنا باولئك الذين ينزعون عنهم في المهجر شعائر الايمان الذي رضعوهُ مع الحليب فينقادون الى كل افاك خداع واذا عادوا الى الوطن زرعوا بين اهلـهِ بذور كفرهم وفسادهم وسلبوا الجبل اثمن كنوزهِ

هذه يا سادة صورة مصغرة لحالة المهاجرين اللبنانيين اليوم . ولا انكر ان كثيرين من ابناء هذه البلاد قد اثروا وتوفقوا في ديار الهجرة . فرفعوا شأو بلادهم وعززوا اسمها وأمدُّوا ويمدُّون المتخافين بالمـال اللازم لعمران هذا الوطن ورقيه . فضلاً عن اهتمامهم بشؤون بـلادهم العـامة . وسعيهم المتواصل والمثمر في سبيل تقدمهـا وفلاحها . ولعلَّها هي الفئة التي عناها شاعر النيل بقولـهِ عن المهاجر اللبناني :

يمضي ولا حلية الّا عزيمتـهُ ويثنني وحلاه المجد والذهبُ

لكنَّ هذه الفئة قليلة بالنسبة الى الالوف المؤلفة الذين ذهبوا ضحايا مطامعهم . وكم من الذين توفقوا في امورهم قد قرَّروا الاقامة نهائياً في بلاد المهجر وبعـد مدَّة ينسون الوطن واهلهُ . وان كانت البلاد مدينةً للبعض منهم بقسم من النجـاح والرقي فكثيرون لا يُجدونها نفعاً كبيراً . والاحرى ان نقول انَّهم يكسونها ثوباً من الخزي والعار

اللبناني امس واليوم

اللبناني ايها السادة أنوف لا يصبر على ضيم . اللبناني ابيّ النفس عزيز الجـانب . اللبناني كبير الهمة نشيط لا تثنيهِ عن عزمه المصاعب ولا تثبط قواه العقبات الكؤود . لذلك رأيناهُ يضرب في مشارق الارض ومغـاربها جاداً وراء الرزق والمال . لذلـك رأيناه ورآهُ العالم باسره يعمل في كل بقعةٍ من بلاد الله بنشاطٍ وتفوّق . شهد لهُ بهما الاوربيون والاميركيون انفسهم

انظروا الى اللبناني من قديم الازمان وسالف العصور يستخرج من صخور هذه الارض وترابها الخيرات والكنوز. انظروا اليه يعيش عزيزاً منيع الجانب. غنياً بقوة الارادة. غنياً بكبر النفس. غنياً بما فيه من ذكاء ونشاط واخلاص. انظروا اليه يعيش ببساطة في تراث آبائه واجداده. لا يعرف الذل ولا الحاجة. يكتفي بالنزر القليل من المال. مع البقاء بين هذه الصخور العزيزة الجرداء. وفي هذه الجبال الشامخة معقله الحصين. وتحت اغصان الارز الباسق الهازئ بالاجيال والقرون

اجل! هذا هو اللبناني كان قبل نصف جيل لا يدري ما هي المهاجرة. ولا يستفزه داء الطمع الى مغادرة بلاده. ولا يتخلى عن لبنانه ولو منّوه بكل مال الارض. هذا هو اللبناني الذي عرفه التاريخ مذ كان لبنان الى زمن قريب من ايامنا هذه

لكن داء تسلط على العقول. ووهماً ملك افئدة اللبنانيين ونفوسهم. وسوساً نخر في رؤوس ابناء هذا الجبل حمل اللبناني على الاعتقاد ان ارض وطنه قد بارت وادركها الفناء. وان مستقبل بلاده اسود اقتم لا يرجى منه خير ولا نفع. وان ديار الغربة هي الميدان الوحيد الذي تتبارى به العزائم وتتسابق النفوس لنيل السعادة والمال

هواجس يأس من حسن مصير بلادهم حملت اللبنانيين على التأفف والتذمر. هواجس زادها النافخون في بوق التشاؤم هولاً وشدة حملت اللبنانيين على مغادرة هذه البقعة العزيزة ودفعتهم الى ركوب الاخطار وتجشم المشاق. وتضحية ذكائهم ونشاطهم واخلاصهم في خدمة بلاد الاغراب

اجل. ان للبناني همةً شماء. ونشاطاً كبيراً لو استعملهما وهو في بلاده في سبيل خيرها ورقيها. ولو خصص كل ما اعطي من مواهب الطبيعة ونعم الله لخدمة نفسه ووطنه وهو في قلب جبله الاشم لعاش مكرماً سعيداً

ايها السادة

ما من احد ينكر ان البلاد اليوم في ضائقة كبيرة. وانما الازمة شاملةٌ عامّة. كادت تُنسيه هناء وطنه ورغد عيشه في بلاده فالعالم اليوم بركانٌ هائل تغلو فيه مراجل حقد الانسان على اخيه الانسان. والسلم لم يستقر على أُسس راهنة بعد. ولا يزال شبح الحرب الرهيب يهدد بالويل والخراب. نعم لا انكر حراجة الموقف. ولكنني اقف صارخاً في وجه المتشائمين اعداء بلادهم ووطنهم فاقول :

« ان حركة الاعمال لم تقف بعد لدرجة لا يُرجى من ورائها مطمح أمل . ولا يزال ميدان العمل فسيحاً امام كل من وطّن نفسه على العمل والثبات الصحيحين »

«امامكم ايها اللبنانيون البرهان الكبير الدافع على صحّة ما اقول : ان الارمني المهاجر الى هذه الاصقاع يعيش فيها اليوم ببحبوحة وسعة . وان تسألوا عن السبب قلت : ان الارمني يعمل واللبناني لا يعمل . ان الارمني يرضى بما قسم لهُ الله في هذه الظروف الحرجة واللبناني لا يرضى . ان الارمني يثبت على العمل وفي صدر اللبناني اليوم عاصفة جعلتهُ

كريشةٍ في مهبّ الريح طائرة   لا تستقرُّ على حالٍ من القلقِ

طلائع العمران . والثقة بالدولة المنتدبة

ايها السادة

لست من المتفائلين في كل شيء . وفي كل الظروف . ولست من القائلين بعصر ذهبي مدهش لهذه البلاد تتوفَّر فيهِ الثروات توفُّرًا تامًا وتزدهر الزراعة والصناعة والتجارة ازدهارًا لم يسبق لها مثيل ويعيش الجميع في بحبوحة ورغد ما عرفتها بلاد من بلاد الله بعد

ولكنني من الواثقين بحسن المصير . المتيقنين بقرب انقشاع الغمامة التي غشت سماء هذا الوطن . القائلين ان الازمة شاملة عامة . المعتقدين اعتقادًا تامًا بحسن نوايا الدولة المنتدبة واستعدادها الحقيقي للسير بالبلاد في معارج الرقي والفلاح

ليكن لنا ثقة بالمستقبل وبالدولة المنتدبة . ان الحكومة الافرنسية لم تتمكن حتى الآن من معاونتنا الاقتصادية والعمرانية التامة لانهماكها بامور بلادها وبشؤون سياستها الداخلية والخارجية . ولكنها سحابة صيف ستنقشع وتزول . وها هي طلائع العمران قد اخذت تبدو لنا مبشرة بقرب تحسُّن الحال

طلائع العمران البادية من وراء استتباب الامن استتباباً تاماً نهائياً تذكَّر اللبنانيين بعهد الامير بشير وبالمثل المشهور القائل : هنيئاً لمن لهُ مرقد عنزة في لبنان . والامن يا سادة الشرط الاول للرقي والنجاح

طلائع العمران البادية من وراء عزم ولاة الامور على الغاء شركات الاحتكار

وفي رأسهن شركات الريجي والديون العمومية ولا يخفى ما وراء ذلك من الانتعاش الحقيقي لزراعتنا وصناعتنا

طلائع العمران البادية من وراء الاصطياف الذي يسير من حسن الى احسن . بفضل المساعي التي تُبذل لتحسين حالات الطرق . وصيانة الامن . وايجاد الفنادق الفخمة . الاصطياف الذي لن يلبث ان يشغل في حياة اللبنانيين المقام الكبير الذي يجب ان يشغلهُ . لانه مورد رزق اوّلي لهذه البلاد

طلائع العمران البادية من وراء مشاريع الري وتوليد الكهرباء وخلافها

طلائع العمران الظاهرة من وراء سكة حديد طرابلس — ناقورة . التي ستؤدي لتجارتنا واقتصادياتنا اكبر المنافع واجلّ الخدمات

طلائع العمران الظاهرة من وراء مشروع نهر ابرهيم الذي سيباشر العمل بهِ قريباً . والذي سيدرّ على هذه البلاد لبناً وعسلاً . ويفسح لسواعد عمّالنا وشباننا مجالاً للعمل فسيحاً

طلائع العمران الظاهرة بأبهى مجاليها من وراء زراعة القطن والكتان التي أُجريت اختباراتها في سهول البقاع وعكار وجاءت باحسن النتائج

طلائع العمران من وراء المساعي المبذولة لتسهيل المواصلات الجمركية بيننا وبين الاناضول وفلسطين والعراق

واخيراً طلائع الرقي والعمران . ودلائل الفلاح التي تبعث الى التفاؤل الشديد من وراء عزم ولاة الامور على اعطاء البلاد قانونها الاساسي . ذلك القانون الذي سيضع شكل الادارة النهائي ويفصّل للبلاد من جهة هذه الادارة ثوباً صغيراً لائقاً بها . فتوفر معه من الميزانية مبالغ طائلة تُرصَد للمشاريع الاقتصادية الكبرى

الى اللبنانيين

ايها اللبنانيون : أبعدوا عن افكاركم شبح المهاجرة الرهيب . ها ان ميدان العمل الفسيح قد بدأ ينفتح امامكم . اقنعوا بما قسم الله لكم في هذه الظروف الحرجة . ثقوا بالمستقبل . تفاءلوا بحسن مصير بلادكم

حاربوا المهاجرة باقلامكم وصحافتكم ونواديكم ومدارسكم . حاربوها

وبكل ما اوتيتم من اخلاص لوطنكم العزيز وتعلّق به . حاربوا المهاجرة واوقفوا تيّارها الجارف فالمهاجرة خطر وطني . وهل بينكم من يتقاعس عن اداء الواجب اذا احاق ببلادكم خطر ما ؟

الى المهاجرين

أيها المهاجرون : ادعوكم الى العودة الى الوطن . لقد اقفرت البلاد من سكانها وحلّ محلّهم خليط من شعوب الارض ومتشرديها

ان البلاد في عهدها الجديد بحاجة الى رؤوس اموالكم وعقولكم . البلاد بحاجة الى خبرتكم ومعارفكم واخلاصكم . البلاد بحاجة الى مؤسسات ناضجة تحدثونها فيها . البلاد بحاجة الى اقلامكم والسنتكم . البلاد بحاجة الى صحافة راقية تنشئونها فيها كما فعلتم في ديار الاغراب . أفليس من وطنكم اصحابُ الاهرام والمقطم والمقتطف والهلال فما لمثلهم لا يعملون في قلب لبنان لخير لبنان ورقيه

البلاد بحاجة الى تلك الحلقة الطيبة التي تؤلف الرابطة القلمية النيوركية والتي اعادت في العالم الجديد ذكرى الاندلس وذكرى الادب العربي المزدهر فيها

البلاد بحاجة الى شاعر بعلبك يصدح فوق افنان بعلبك ويتغنى بلبنان وبامجاد ابنان في قلب لبنان لا في ديار الفراعنة

البلاد بحاجة الى امراء البيان وبلابل المنابر والاعواد يغرّدون في ظلال الارز الباسق لا في حمى الاهرام !

ايها المهاجرون : لقد غادرتم بلادكم في ظروف حرجة وصفها ببلاغته وابداعه شاعرنا الكبير خليل بك مطران في خطابه الاجتماعي الشائق الذي القاه بالامس في الكلية اليسوعية الزاهرة . لقد كان لكم يومئذٍ في المهاجرة عذركم المشروع . اما اليوم فقد زال هذا العذر بزوال الاسباب واصبح من واجبكم ان تلبّوا نداء هذا الوطن الذي يناشدكم العودة الى احضانه

ان للبلاد عليكم حقاً كبيراً . انتم حجر الزاوية في بناء الوطن العتيد . انتم قبلة امال المستقبل . انتم روح هذه الامة وقلبها النابض ودماغها المفكر وهل تحيا امة بلا روح ؟

عودوا الى بلادكم اليوم برؤوس اموالكم وحققوا المشاريع الاقتصادية العديدة .

عودوا الينا باقلام كتّابكم وعقول مفكريكم وعاونوا اخوانكم المتخلفين في علمهم فتسير هذه البلاد متكئة على ذراع الدولة المنتدبة الكريمة نحو الرقي والاستقلال المنشودين

لا تناقض في التوحيد والتثليث

نظر لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي

قرأنا في العدد الاخير من مجلة المنار المصرية لمنشئها السيد محمد رشيد رضا فصلًا عنوانهُ: «موافقة الاسلام للعقل دون غيره» جاء فيها (ص ١٩٢) ما نصّهُ:

«من القواعد المقرَّرة عند علماء العقائد الاسلاميَّة أنَّ دين الاسلام ليس فيهِ شيء يحكم العقل باستحالتهِ وانَّ المسلم لا يُكلَّف ان يعتقد ما هو محال عقلاً . . . والقاعدة عند غيرنا بخلاف ذلك (كذا) وهي انهُ يجب الايمان ولو بالمحال وان كان بديهيًا كالجمع بين النقيضين او الضدَّين المساويين للنقيضين كالتوحيد الحقيقي والتثليث الحقيقي اي كون الاله واحدًا حقيقةً وغير واحد حقيقةً»

فهذا القول كما ترى موجَّه الى ديننا النصرانيّ فيدَّعي الكاتب — سامحهُ الله — باننا في معتقداتنا نجمع بين المتناقضات وضرب على ذلك مثال اعتقادنا بتوحيدهِ تعالى وتثليثهِ فنؤمن على زعمهِ في وقت واحد «كون الاله واحدًا حقيقةً وغير واحد حقيقةً»

فما قولنا؟ أصحيح ان ديننا يوجب علينا «الايمان ولو بالمحال»؟ وأننا في اعتقاداتنا «نجمع بين النقيضين» اللذين لا يمكن التوفيق بينهما؟

١ اجوبة عمومية

نجيب على هذا (اولًا) انهُ لمن العجب العجاب انَّ دينًا فيهِ بعين العقل من المناقضات ما فيهِ قد ثبت منذ تسعة عشر قرنًا بل انتشر ولا يزال في كل انحاء المعمور (ثانيًا) واعجب من ذلك انَّ هذا الدين على الرغم من مناقضاتهِ قد شاع بين

الامم الأرجح عقلاً والارقى تمدُّناً والاوسع نفوذاً كاليونان والرومان والفرنج والعرب (راجع كتابنا النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة) فدانوا لهُ دون ان توقفهم تلك المناقضات المزعومة مع ما فيهِ من الاحكام والشرائع التي تقاوم كلَّ شهوات الانسان من ضبط الحواس والزهد ولزوم العفاف ومحبّة الاعداء والصبر على الاضطهادات ممّا لم يأمر بهِ دين غير النصرانيّة . وعددهم حاضراً ينيف على ثلث سكّان المعمور

(ثالثاً) ثمَّ انَّ بين الشعوب المتنصّرة قد نبغ فلاسفة نطاسيّون قد جاروا ارسطو وافلاطون وسائر فلاسفة اليونان بل فاقوا عليهم بعلومهم كأوغسطينوس واوريجانس وتوما الاكويني وبسكال ومئين غيرهم تشهد كتاباتهم الباقية الى يومنا على سموّ عقلهم وضلاعتهم في كلّ اصول الفلسفة وفروعها فكيف جهلوا تلك المناقضات التي ينسبها صاحب المنار الى الدين المسيحيّ ولم يرموا بها عرض الحائط ؟

(رابعاً)وليس فقط لم يجدوا اثراً لتلك المناقضات بل اقتنعوا بصحّة دينهم كثيرين من فلاسفة المشركين فردُّوهم الى معتقدهم كديونيسيوس الاريوباجي واثيناغوراس الفيلسوف الاثيني وقبريانس القرطجني ويوستينوس النابلسيّ فعرفوا الحقيقة وماتوا شهداء في سبيل دينهم . أفكان هؤلاء من العميان فلم يستدلُّوا على تلك المناقضات؟ او كانوا من المجانين ليضحُّوا حياتهم لاثبات ما ينفيهِ العقل السليم ؟

٢ من اين اخذ النصارى قولهم بالتوحيد والتثليث

من المعلوم انَّ وحدانيّة الله قضيّة تتّفق عليها سائر الكتب المنزلة ويؤيّدها العقل الصائب بنورهِ الطبيعيّ فضلاً عن الوحي. ولا حاجة لبيان ذلك اذ لا ينكرهُ علينا احد

امّا التثليث اي كون الله واحداً في ثلثة اقانيم من اين اخذهُ النصارى ؟ أهو اختراع منهم ؟ او هو قولٌ خُدعوا بهِ لا يستطيعون ان يثبتوهُ بدليل فتشبَّثوا بهِ جزافاً وأصرُّوا عليهِ ؟

الجواب على ذلك انَّ ما يخترعهُ الانسان من تلقاء نفسهِ من الخياليّات والاساطير الباطلة لا يلبث ان يمجّهُ وينفيهُ عنهُ . مثال ذلك ما اخترعهُ القدماء عن آلهتهم فانّها خدعت ببهرجتها وتمويهها بعضَ الجهلاء لكنّها اضمحلّت بعد ذلك وذابت امام نور

العقل ذوبان الثلج امام نور الشمس واصبحت اضحوكةً يزدري بها اصحابها

فهيهات ان يكون التثليث عند النصارى من هذا النمط فانَّ عقيدةً مثل هذه القائلة بكون الله الواحد هو في ثلاثة اقانيم لا تخطر على قلب بشر وقد بيّنا سابقاً في المشرق (١٥ [١٩١٢] : ٤٣٢–٤٤٥) في ردّنا على محمد طاهر التنير الفروق المتعددة الموجودة بين سرّ الثالوث النصرانيّ العجيب وبين الثالوثات والخاموسات والسابوعات النجسة والملوثة خرافة التي شاعت عند بعض الامم الوثنيَّة فلتُراجع

فمن اين اذن اخذ النصارى معتقدهم ? اخذوه بلا مراء من الوحي الالهيّ وحدهُ وهذا الوحي كان ظهورهُ خفيفاً في عهد بني اسرائيل لِما كان عليهِ اليهود من الميل الى ارجاس الوثنيين فاخفاهُ الله عنهم لئلّا يسيئوا فهمهُ . وانّما كشفهُ لبعض اوليائهِ منهم كموسى كليم الله الذي اشار اليهِ في مفتتح سفر التكوين حيث ذكر اسمَ الخالق على صورة الجمع «ألوهيم» وروحَهُ الذي كان «يرفُّ على المياه» . وكابرهيم الخليل الذي تراءى لهُ الله على صورة ثلاثة شبّان متشابهين فسجد لهم وكلّمهم بالافراد «سيدي» . وكداود في مزاميرهِ (مز ٣٢ : ٦) حيث يقول : «بكلمة الربِّ صنعت السماوات وبروح فيهِ كل جنودها» . وكاشعيا (٦ : ٣) الذي سمع السرافين قدّام عرش الله يثلّثون تسبحتهُ : «قدّوس قدّوس قدّوس» . وآيات اخرى استشهد بها السيد المسيح من العهد العتيق دلالةً على لاهوتهِ (مز ١٠٩ : ١) : «قال الرب لربي اجلس من عن يميني» او على روحه القدّوس (اشعيا ٦١ : ١) : «انَّ روح الرب عليَّ مسحني لأبشر المساكين وارسلني لأجبر منكسري القلوب»

على ان هذه الرؤى والآيات قد كشف الانجيل الطاهر معانيها الخفيَّة واظهرها بكلّ جلاء في كلّ صفحة من صفحاتهِ وذلك مباشرةً بتبشير الملاك جبرائيل للعذراء مريم بميلاد ابن الله فذكر الآبَ بقولهِ «نلتِ نعمةً عند الله» وذكر الابن بقولهِ ان المولود فيها «ابن الله سيُدعى» وذكر الروح القدس الذي بفعلهِ ستتمُّ ولادة المسيح اذ يحلّ عليها ويظلّلها بقوّتهِ

وختام الانجيل شبيهٌ بأولهِ اذ كانت آخر كلمة قالها المسيح قبل صعودهِ الى السماء لتلاميذهِ : اذهبوا علّموا جميع الامم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وبين مُفتتح الانجيل وختامهِ نحو من مئتي آية فيها كلام صريح عن أحد الاقانيم

الثلثة ولاسيَّما عن لاهوت السيد المسيح كما بيَّنَّا ذلك في كتابنا البرهان الصريح في اثبات الوهيَّة المسيح ردًّا على المنار (المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٨١ الخ) . فهناك اقوال لا تخطر على قلب انسان لو لم يوحَ بها . فايُّ بشرٍ يا تُرى امكنهُ ان يخترع ما جاء هناك كقولهِ (يوحنَّا ١) : « في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله والله كان الكلمة . . . كلٌّ بهِ كُوِّن وبغيرهِ لم يكوَّن شيء ممَّا كُوِّن » الخ . وقولهِ (متى ١١ : ٢٧) : « كل شيء قد دُفع اليَّ من ابي . وليس احد يعرف الابن الَّا الآب ولا احد يعرف الآب الَّا الابن » . وقولهِ (يوحنا ٣ : ١٣) : « لم يصعد احد الى السماء الَّا الذي نزل من السماء ابن البشر الذي هو في السماء » . وقولهِ (يوحنا ١٥ و١٦) : « متى جاء المعزّي الذي أرسلهُ اليكم من عند الآب روح الحقّ الذي من الآب ينبثق . . . يرشدكم الى جميع الحقّ . لأنَّهُ لا يتكلَّم من عنده . . يأخذ ممَّا لي ويخبركم . جميع ما للآب فهو لي ومن اجل هذا قلتُ لكم يأخذ مما لي ويخبركم » . فنسأل كلَّ رجلٍ سليم النيَّة خالٍ من الاوهام أيُمكن مخلوقًا ان يكتب مثل هذا من عندهِ لولا وحيٌ من الله . ولاسيَّما اذا اعتبرنا ان هؤلاء الكتبة كانوا أُميين صيَّادين بكَّتهم السيِّد المسيح مرارًا على جهلهم لامور الله

وما كتبوهُ في الانجيل كرَّروهُ وزادوهُ ايضاحًا هم وتبعتُهم في رسائلهم . اقرأ مثلًا ما افتتح بهِ بولس الرسول رسالتهُ الى العبرانيين : « انَّ الله الذي كلَّم الآباء قديمًا في الانبياء كلَّمنا اخيرًا في هذه الأيَّام في الابن الذي جعلهُ وارثًا لكلّ الاشياء وبهِ انشأ الدهور وهو ضياء مجدهِ وصورة جوهرهِ وضابط الجميع بكلمة قوَّتهِ وبعد ما طهَّر الخطايا جلس عن يمين الجلال في الاعالي . . . يقول لهُ (الآب) : انَّ عرشك يا الله الى دهر الدهور وصولجان ملكك صولجان استقامة . . . اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك موطئًا لقدميك »

فمن كلّ هذا يلوح سرُّ الاله الواحد ذي الاقانيم الثلثة . وبما انَّهُ جاء بالوحي فلا بُدَّ من الايمان بهِ ما لم يثبت لنا صاحب المنار احد شيئين أمَّا انَّ هذه الآيات ليست من الوحي وانَّما هي تدليسٌ وكلام زُور دسَّهُ بعض ذوي الغايات خدع بهِ الناس وإمَّا ان هذه الآيات معنى غير المعنى الذي يزعمهُ النصارى

(والقول الاوَّل) مردود لانَّ الاناجيل الاربعة القانونيَّة هي وحدها دون

سواها في ايدي المسيحيين منذ عهد الرسل لم يمسَّها تغيير ولا تحريف . وقد نشر الاب المرحوم انطون ربّاط في المشرق (١٤ [١٩١١] : ٢٤١ الخ) فصولًا واسعة في الانجيل الشريف اثبت فيها «حقيقة نسبة الاناجيل الى كتبتها وتاريخها وبراءتها من التحريف وصدقها» (١ ولا نعلم انَّ احدًا ردَّ عليها في شيء . ومما رواهُ هناك تعريف عدَّة نسخ مخطوطة من الاناجيل سبقت الاسلام بعضها بمئة وبعضها بمئتين بل بثلاثمائة سنة يمكن فحصها علميًّا وبيان سلامتها من كلّ تحريف . واثبت ترجمتها عن اليونانيَّة منذ القرن الثاني للميلاد في اللاتينيَّة والسريانيَّة والقبطيَّة وكلُّها متوافقة المعاني مع اختلاف اللغات . ولو افترض انَّ تلك النسخ مفقودة كلها لاستطعنا تركيب الاناجيل الاربعة تمامًا بجمع ما نصَّ عليهِ او استشهد بهِ منها آباء الكنيسة في القرون الخمسة الاولى للميلاد . فكفى بذلك دليلًا على صحَّتها كما لو افترض فقدان القرآن فتُجمع آياتهُ من شواهد كتبة العرب الاوَّلين فلا بُدَّ من القول انَّ الاناجيل بريئة من كل تزييف وانهُ لا يستطيع احد من العلماء ان يُبطل منها فصلًا ولا حقيقة دينيَّة ولا تعليمًا ادبيًّا

ولعلَّ جناب منشىء المنار يحتجّ ببعض اناجيل كاذبة اشاعها المبتدعون في ازمنة مختلفة لكنَّها منذ ظهورها اعلنت الكنيسة فسادها وقد كتبنا فصلًا مطوَّلًا عن ستَّة عشر انجيلًا من اناجيل الزور (المشرق ١١ [١٩٠٨] : ١٩٤—٢٠٥) التي ظهر كذبُها لكلّ عيان . منها انجيل برنابا الذي عُنيت مجلَّة المنار فعربَّتهُ وطبعتهُ ظنًّا منها انها وجدت سلاحًا لمحاربة النصرانيَّة وقد بيَّنَّا لها هناك (ص٢٠٤) انها خُدعت بالظواهر وانَّ الانجيل المزعوم هو لراهبٍ جحد دينهُ في القرن السادس عشر فضمَّنهُ كلَّ خرافات دماغهِ العليل .

وليس للقول الثاني صحَّة اعظم اعني القول بانَّ النصارى لم يدركوا معنى تلك الآيات المنزلة بالوحي عن الثالوث الاقدس . لأن تلك المعاني واضحة جليَّة مكرَّرة تكرارًا متعدّدًا لا يحتمل شرحها مجازًا . وهكذا فهمها رسل المسيح في تآليفهم وبنوا عليها دستور ايمانهم ووافقتهم الكنيسة في كلّ آثارها الفنيَّة وفي كتاباتها ومجامعها وتعليم كلّ ملافنتها وضربت بالحرم على يد كل من حاول نفي حقيقتها وهي حتى اليوم تفرز من جماعتها كل من ينكرها . فلا سبيل اذن الى صاحب المنار

١) قد طُبعت هذه الفصول على حدة فيمكن الحصول عليها في مطبعتنا الكاثوليكيَّة

الى قرع هذا الباب الآخر

فماذا يبقى لهُ ؟ هو قولهُ «انَّ في القول بالتوحيد والتثليث تناقضاً » فكأنهُ يريد ان ينقض تلك الحقيقة من الوجه الفلسفي . ونحن نسلّم لهُ جدليًا بفساد هـذا التعليم لا بل بفساد الدين القائل بهِ لو امكنهُ ان يثبت التناقض المزعوم لان التناقض الصحيح في تعليم احد الاديان دليل قاطع على فساد ذلك الدين

ويجب قبل كلّ ان نحدّد ما هو التناقض . التناقض في اللغة التخالُف اشتقّ من تناقُض الحبل اي انتكاثهِ وانحلال إبرامهِ . وهو في اصطلاح الفلاسفة اختلاف الامرين على وجه لا يمكن الجمع بينهما . وتناقُض القضيَّتين اختلافهما بالايجاب والسلب بحيث يقتضي صدقُ احداهما كذبَ الاخرى كما لو قُلت: الله موجود والله ليس بموجود . والعالم حديث والعالم قديم . هذا واحد وثلثة معاً . ففي كلّ هذه القضايا ينفي احد الوجهين الوجه الآخر فوجودهما معاً من المُحال اي من الباطل الفاسد من كلّ وجه . فوجود الله ينفي عدم وجوده والعكس بالعكس . ومثلهُ حدوث العالم ووحدانيَّة الشيء ينفيان قدم العالم وثلاثية ذاك الشيء بعينهِ . ويُعكس

فهلمَّ نبحث عن معتقد النصارى في التوحيد والتثليث أفي قولهم انهُ تعالى واحد بالطبيعة مثلَّث الاقانيم تناقضٌ حقيقي ؟ قلنا انَّ تحديد التناقض وَضع الشيء ايجاباً وسلباً معاً . فمَن من النصارى رعاك الله يدَّعي انَّ الله هو اله واحد وثلثة آلهة؟ وانَّ لهُ جوهراً واحداً وثلثة جواهر ؟ وانَّما يقولون استناداً الى ما اوحى الله اليهم بهِ بواسطة السيد المسيح كلمتهِ المتأنّس انَّ الله الوحيد بالطبيعة ذو ثلثة اوصاف نسبيَّة آب وابن وروح قدس يدعونها اقانيم لانها قائمة بتلك الطبيعة الواحدة

يقول النصارى انَّ الله عزَّ وجلَّ الواحد الصَّمَد ذا الجلال والكمال والجوهر الفرد الذي لا يُمكن تقسيمهُ او تجزئتهُ البتَّة هو الهٌ عاقل يعقلُ حقيقة ذاتهِ الالهيَّة منذ الابد ومعرفتُهُ هذه لذاتهِ ليست عرضيَّةً اذ لا عَرَض في الله وانَّما هي معرفة جوهريَّة هي صورتُهُ وضياء مجدهِ الجامعة لكلّ كمالاتهِ كأنَّهُ هي وكأنَّها هو . وتلك الصورة هي كلمتهُ القائمة بذاتها التي لا تقع تحت قول: كن . ولانَّها صادرة عنهُ متولّدة منهُ بطريقة العقل دون حركة ولا زمان ولا مكان ثابتة فيهِ دون انفصال دعوناها كلمةً ودعوناهُ اباً كما ندعو معقول عقلنا الذي ينتجهُ ذهننا ابنَ فكرتنا او

كلمةٌ تلفظها شفاهنا دون ان تبارح عقلنا وانَّما كلمة الانسان عَرَض وكلمة الله الهٌ كصدرها تُشبه مصدرَها شبهاً تاماً وتأخذ عنهُ لاهوتهُ مع كلّ كمالاتهِ. وبما انَّ الابن يشبهُ الآب وهو صورتهُ الجوهريَّة وجب ان تكون بين الآب وكلمتهِ علاقة وهي علاقة الحبّ لتلك الكلمة وحبّ الكلمة الى مُولدهـا. وهذه العلاقة ليست ايضاً عرضاً بل جوهراً وذلك هو الروح القدس الحبّ المتبادل بين الآب والابن المنبثق من كليهما. فجوهر الآب هو ذات جوهر الابن وكلمتهُ وذات جوهر الروح القدس رابط الحبّ بينهما. فترى انَّ في كلّ ذلك ليس اثرٌ للتناقض

وان قال صاحب المنار انَّهُ لا يدرك هذا السرّ تماماً اجبنـاهُ انَّنا نحن ايضاً لا ندركهُ وكفانا ان نعرف حقيقةَ انَّ الله أوحى بهِ. او نقيس الله على قصر عقلنا البشري؟ فلو كنَّا ندرك كُنهَ الله لكنَّا آلهةً. وكم من الاسرار يجب علينا قبولها ولو لم يدركها عقلنا. مَنْ منَّا يفهم اسرار الطبيعة الهيوليَّة وكلّ عجائبها؟ أنفهم حسناً ما فينا من القوى الحسيَّة والعقليَّة؟ ألا يقول المسلمون مثلنا بالبعث والنشور؟ او ليس ذلك سرًّا؟ أَيدركون جيدًا وحدانيَّة الله وكمالاتهِ؟ فليذكر صاحب المنار جواب الامام الغزالي اذ طلب اليهِ الزمخشري ان يشرح لهُ قول القرآن «الرحمان على العرش استوى» فاجابهُ:

قُـلْ لمن يفهمْ عني مـا اقولْ ... أُترك البحث فذا شرح يطولْ
ثَمَّ سِرٌّ غامضٌ من دونهِ ... ضُرِبَتْ بالسيف اعناقُ الفحولْ
انت لا تعرف ايـاك ولم ... تَدرِ من أنت ولا كيف الوصولْ
لا ولا تدري صِفات رُكِّبت ... فيك حارت في خفاياها العقولْ
اين منك الروحُ في جوهرهـا ... هل تراها او ترى كيفَ تجولْ
انتَ أكلَ الخبزِ لا تعرفـهُ ... كيف يجري فيك ام كيف يزولْ
فـاذا كانت طوايـاك التي ... بين جنبَيْك بها انت جَهولْ
كيف تَدري مَن على العرشِ استوى ... لاتَقُل كيف استوى كيف الوصولْ
فهو لا كيفٌ ولا اينٌ لـهُ ... هو ربُّ الكيف والكيفُ يحولْ
هو فوقَ الفوقِ لا فوقَ لهُ ... وهو في كلّ النواحي لا يزولْ
جـلَّ ذاتاً وصفـاتٍ وعـلا ... وتعـالى ربُّنـا عمَّـا نقولْ

نِعم القول نعرضهُ على كلّ من يلومنا عن اعتقادنا اسرار الله وان لم نفهما. وبهِ يتَّضح ايضاً بُطلان قول بعض المتفيهقين انَّ للنصرانيَّة وحدهـا اسراراً لا يستطيع العقل ادراكها. فان لكلّ دين اسراراً يعجز العقل عن فهمها. وغاية ما يمكن الانسان

ان يطالب به صاحب الايمان ان معتقده لا تناقض فيه وانهُ ورد حقيقةً في الوحي وقد بيّنّا الامرين كليهما بقوّة الله. وان شاء المخالف مثلًا قريبًا لمعتقدنا في التوحيد والتثليث أحلناه الى مشاهدة النفس البشريّة وقواها الثلث العقل والارادة والذاكرة. فالنفس هي العقل وهي ايضًا الارادة وهي ايضًا الذاكرة. والعقل يختلف عن الارادة والارادة تختلف عن الذاكرة ومع ذلك النفس واحدة وان كانت مثلثة القوى. فهكذا الله تعالى واحد في الجوهر مثلث الاقانيم

ملحق

فكاهة دينيّة للشيخ يحيى بن عدي

عن مسئلة جرت بين يدي علي بن عيسى الجرَّاح في التوحيد والتثليث

المشرق — نورد هنا نبذة مستملحة نقلناها عن نسختي باريس (Paris, Ms Ar., 101 pp. 30ᵛ) والفاتيكان (Vat. Ms 134 pp. 21ʳ) لها علاقة مع المقالة السابقة. وهي للفيلسوف النصراني الشهير ابي زكريا يحيى بن عديّ من نصارى القرن العاشر للميلاد (+ ٩٧٤). وهي مسئلة جرت في ديوان عليّ بن عيسى بن الجرَّاح وزير الخليفة المقتدر فدونك نصّها :

قال ابو زكريا يحيى بن عديّ اخبرني بعض اخواني انّ الوزير ابا الحسن عليّ بن عيسى بن الجرَّاح رضي الله عنهُ وارضاهُ واكرم مآبهُ ومثواهُ استحضر ابا مسلم محمد بن بحر (؟) الاصفهاني رحمهُ الله ليوافقهُ على ما كان يتولّاهُ من الاعمال. فجرى بينهما خطاب اختلفا في ما يجب فيهِ من الحكم. واتّفقا على ان يرجعا فيهِ الى من يوثق ببصيرتهِ بأحكام الديوان من كتّاب الحضرة. فذكر الوزير ابو الحسن بصّرهُ اللهُ وجههُ رجلًا من وجوه كتّاب النصارى فقال ابو مسلم الاصفهاني: لا ارضى بهِ لانهُ لا يُحسن الحساب. فقال الوزير منكرًا عليهِ: أتقول في فلان انهُ لا يُحسن الحساب؟ فقال: نعم لانّ الواحد عندهُ ثلثة والثلثة واحد. فاستضحكهُ بذلك. وانّما عنى ابو مسلم بقولهِ وصفَ النصارى للباري عزّ وجلّ بانهُ جوهر واحد موصوف بثلث

صفات وهي التي يسمّونها الاقانيم

(قال يحيى بن عديّ) : ولو امعن ابو مسلم النظر في ذلك ووفّق الخطأة الحقيقيّة فيهِ لَظَهَرَ لهُ انــهُ على ما يعتقدهُ ويقولــهُ أَولى بان يوصف بانهُ لا يُحسن الحساب من النصارى . والدليل على ذلك مـا انا قائلهُ منذ الآن فاقول : كلّ لفظــة امّا ان تكون يُشار بها الى معنًى من المعاني وامّا ان تكون لا يُشار بها الى معنًى . وكلّ لفظتين يُشار بكلّ واحدةٍ منهما الى معنًى فلا بُدَّ ضرورةً من ان يكون المعنى الذي يُشار اليهِ باحداهما امّا هو المعنى المشار اليهِ بالاخرى . وامّا غير المعنى المشار اليهِ بهـا . ومن البيّن انَّ الفاظ «الجواد والحكيم والقادر» يُشار بكل واحدةٍ منهنَّ الى معنًى . ومن الاوائل في كلّ عقلٍ صحيح انَّ المعنى الذي يُشار اليــهِ بلفظة «جواد» هو غير المعنى الذي يشار اليهِ بلفظة «حكيم» وغير المعنى الذي يُشار اليهِ بلفظة «قـادر» . ونحن والذي ظنَّ بنا انّنا لا نُحسن الحساب لانّنا نقول انَّ شيئاً بعينهِ يصحُّ ان يوصف بانّهُ شيء واحد ويصحّ بان يوصف بانّهُ اشياء ثلثة مُقِرّون بانَّ الباري تعالى واحد وموصوف بانهُ جواد وبانّهُ حكيم وبانّهُ قادر . وخصمُنا يقول بانَّ الموصوف بهـذه المعاني الثلثة هو هو هذه المعاني وانّهُ وايّاها واحد من كلّ وجه . فيلزمهُ لا محالة ان يكون الذي هو واحد من كلّ وجه هو هو بعينهِ هذه الثلثة المعاني من كلّ وجه . ومن البيّن لمن لم يخرج من عقلهِ انَّ من يقول بانَّ الباري الذي هو واحد من كلّ وجه هو هو بعينهِ المعاني الثلثة هو اولى بالوصف بانهُ لا يُحسن الحساب ممَّن يقول بانَّ شيئاً بعينهِ هو واحد من وجه وثلثة من وجه آخر . فانّا نحن نقول انَّ البـاري جلَّ ثناؤهُ موصوفٌ واحد بثلث صفات . فالواحد يوصف بهِ الموصوف والثلثة توصف بهـا الصفات . فنحن اذن احقُّ بانلا يلزمنا انّا نقول انَّ الواحد هو هو من كل وجهٍ ثلثة . وذلك ما اردنا ان نبيّن والشكر لله واهب العقل دائماً ابداً(١)

(المشرق) نحيل القرّاء الذين يريدون زيادة ايضاح في التوحيد والتثليث الى المقـالات النفيسة التي نشرناها في المشرق سابقاً لبولس الراهب اسقف صيداء ولمدي بن يحيى ولعبد يشوع وايليّا مطراني نصيبين وقد طبعناها على حدةٍ في مجموع عنوانــهُ مقالات دينيَّة قديمة صدرت طبعتهُ الثانية في مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٩٢٠ (صفحاتهُ ١٤٨)

---

١) هذه المقالة ليحيى بن عديّ هي الخامسة من مقالاتهِ التي نشرهـا الكاهن اوغستين پيريه (ص ٦٢–٦٨) وبين قراءتَينا بعض اختلاف جزئيّ

مطبوعات شرقية جديدة

Wilson (W.) : Histoire du peuple américain, traduite par D. Roustan, 2 *vols., gr in-8°, 30 Planches hors texte des Présidents des Etats-Unis. Paris, Editions Bossard, Prix 60 f*

تاريخ الشعب الاميركي

مؤلف هذا التاريخ هو ولسون ذاك الرئيس الشهير الذي لعب في الحرب الكونيَّة الاخيرة دورًا ممتازًا. على انهُ كاد يموت خاملًا في العام الماضي بعد مرض أليم دهمهُ . ولهذا الرئيس ما عدا خدمهِ السياسيَّة لوطنهِ خدمٌ ادبيَّة ادَّاها للعالم وهو مُعلّم في احدى جامعات اميركا حيث ألفت اليهِ نظر مواطنيهِ بهذا التاريخ الذي نحن بصددهِ وهو يتألف من خمسة مجلَّدات تتناول اخبار شعب اميركا الشماليَّة منذ اوائله الى مفتتح القرن العشرين . فتتبَّع اطوار سكَّان اميركا وعناصرهم الاصليَّة ثمَّ تأمركهم حتى اصبحوا شعبًا واحدًا يجري ابناؤهُ على خطَّة واحدة الى غاية واحدة معلومة . فالحياة الاميركيَّة صارت تمتاز عن سواها بخواصَّ تدلُّ على همَّة قعساء ونشاط عظيم بلغت بهما تلك البلاد غاية العظمة والنفوذ . وهذه الترجمة الفرنساويَّة جديرة بكل ثناء لامانة مترجمها وانسجام كلامهِ معًا الاب جبرئيل لوثنك

Hildebrand Hoepfl O. S. B. : Introductionis in Sacros Utriusque Testamenti Libros Compendium. Vol. I. Introductio Generalis, *pp.* 319, *Typographia Pontificia, Romæ*, 1922.—Vol. II, Introductio specialis in Libros *V. T., pp.* 331, *Typis Proto-Cœnobii Sublaci*, 1921. — Vol. III, Introductio specialis in Libros N. T., *ibidem*, 1922

دليل الاسفار المقدَّسة

تحتاج اسفار الكتب المقدَّسة من العهدين القديم والحديث الى مقدّمات طويلة ترشد الطَّلبة الى معرفة تلك الكتب من وجوهٍ مختلفة كاصلها وكاتبيها ومحتوياتها ولغاتها واشياء كثيرة ترشّحهم الى درسها وشرح معانيها . وهذا الكتاب وضعهُ احد الرهبان البندكتيين من اساتذة مدرسة القديس انسلموس في رومية وهو يتألَّف من

اربعة مجلّدات لم يصل الى يدنا منها الّا الثلثة وهي تشهد لصاحبها بسعة المعارف وصحّة الآراء وسلاسة التعبير. وهو يعرض كلّ باب من ابواب كتابهِ مستنداً الى اصدق تعاليم الآباء والمفسّرين وبيان ما أتت بهِ الآثار والماديّات تأييداً لاخبار الكتب المنزلة. والمؤلف مع حفظهِ للتقاليد الصادقة لا يأنف من تفنيد ما يراهُ ضعيف الحجّة واهي السند فمن ذلك انهُ يعاكس رأي الناسبين الى سليمان الحكيم سفر الجامعة لما في قولهم من المشاكل العديدة. ويا ليت هذا التأليف كان أتقن طبعاً واضبط نصّاً لكان اصاب قصبة السبق على سواهُ الاب يوسف ديلانيغر

I Dr Marchand: Les faits de Lourdes. Trente Guérisons enregistrées au bureau médical (1919-1922). In-12, *Prix* 7 f.ˢ = II Gaël (René): Les grandes guérisons de Lourdes. Celle qui ressuscite, 1 *vol. in*-12. 7ᵉ *mille, Prix* 5 f.ˢ = III Henri Lanier (Ch.): sur les pas de l'Immaculée, *in*-32, *Prix* 1 *f., Paris, Pierre Téqui Libraire-Editeur*

حوادث لورد وعجائبها الغريبة — على آثار البتول

كنّا نودّ ان يقرأ جحدةُ العجائب هذه الكتب الثلثة التي وضع اوّلها احد مشاهير الاطباء الدكتور مرشان وصنّف الثاني والثالث رجلان عالمان لا يمكن نسبتهما الى المكر او الغايات الدنيّة. فالدكتور مرشان مقيم رسميّاً في لورد يفحص المرضى الذين يأتونها طلباً للشفاء بشفاعة مريم العذراء ويدوّن ما يحصل منهُ دون علاج الاطباء بنعمة البتول وحدها وينشرهُ في نشرةٍ خاصّة بذلك. وها هوذا جمع اليوم اخبار ٣٠ شفاء راقبها هو بنفسهِ من السنة ١٩١٩ الى ١٩٢٢ واقرّ كل الاطباء انها جرت على طريقة عجيبة بعد اقرارهم بعجزهم عن شفائها طبيعياً. فقد نال هذا الكتاب من الشهرة ما افحم كلّ ناكري العجائب الالهيّة — والكتاب الثاني قد خصّهُ الاديب «رينه غائل» بوصف اعجوبة خاصّة تُعدّ من اعظم آيات عصرنا حدثت في ٢٨ آب سنة ١٩٠٨ في شخص مريض كان على قاب قوسين من القبر حتى انهُ لم يبقَ فيهِ الّا نسمة حياة يُنتظَر موتهُ منذ بضعة اسابيع فقام في لورد معافًى وهو الى اليوم بتمام الصحّة يقصّ خبر شفائهِ على كلّ من يشكّ فيهِ — أمّا الكتاب الثالث فهو اعمّ مدارهُ على شفاعة البتول ووصف فضائلها التى تقود من يتعبّد لها ويسير

على مثالها الى اوج الكمال ل. ش

Iedermanns Buecherei: VERLAG HIRT IN BRESLAU. = **I Maull :** Griechisches Mittelmeer Gebiet. 13 *Cartes et* 33 *images*, *Prix*. 3f. 50 *francs suisses* = **II Friederichsen:** Finnland, Estland. Lettland, Litanen, 16 *Cartes, et* 36 *images*, *même prix* = **III Passage :** Die Landschafts Guertel der Erde. *Carte et* 31 *images*, *même prix* = **IV Tuckermann:** Osteuropa. 2 *vols avec Cartes et illustr.*, *même prix*

مطبوعات جغرافيّة

في برسلو من اعمال المانية محلّ شهير يتولّاه ايدرمان وينشر فيه من المطبوعات المفيدة ما اكسبهُ ثقة الجمهور وقد ذكرنا سابقاً بعض منشوراته. فها هو اتحفنا اليوم باربعة مجلّدات جليلة في جغرافية اوربّة وخصوصاً اليونان وانحاء بحر بلتيك وعن مناطق الارض واوربّة المركزيّة. فهناك معلومات غاية في الافادة مع مراعاة التغييرات التي احدثتها الحرب الكونيّة. وهذه التآليف كاملة من حيث اتقان طبعها وجودة خوارطها وتصاويرها ج. ل

L'ÉTUDE DE L'ECRITURE Ste dans l'Eglise Syrienne d'Antioche. Par S. B. **Ignace Ephrem II Rahmani.** *in*-12, *Impr. Patr.syr. de Charfé*, 1924, *Prix*, 5 f

درس الاسفار المقدّسة في كنيسة انطاكية السريانيّة

هذه محاضرة نفيسة القاها غبطة السيد الجليل اغناطيوس افرام الثاني الرحماني في عاصمة الكثلكة امام عدد عديد من الكرادلة والاساقفة والعلماء. وهنّأهُ على مضامينها قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر. فقد راجعناها بلذّة ولقينا فيها من المعلومات ما لا يجدهُ الباحث في مكاتب واسعة عن احوال الكنيسة الانطاكية في قرون الميلاد الاولى وعن علمائها السريان وخصوصاً عن الدروس الكتابيّة التي شاعت فيها مستندةً الى الترجمة البسيطة الراقية الى اوائل النصرانيّة فعرّف غبطتهُ ما لهذه الترجمة من الخواصّ لايضاح نصوص الكتاب المقدّس المغلقة وضرب على ذلك امثلةً عديدة كما انهُ حفظهُ الله وصف نسخةً من الاناجيل سبقت ترجمة البسيطة ووقف عليها بمراجعة مخطوطات وآثار قديمة فبيّن فضلها على الترجمة السريانيّة التي خلفتها. فنهنئ

شرقنا العزيز الذي يحصي بين علمائهِ رجالًا كغبطتهِ يجارون فطاحل الغرب بمقدرتهم العلميَّة

L'Atlantide a-t-elle existé?: par L'ABBÉ TH. MOREUX, 1 vol. in-12, Paris, G. Doin éditeur, Prix 3 fr

هل وُجدت جزيرة الاتلنتيد

وما ادراك ما جزيرة الاتلنتيد ? جزيرةٌ ذكرها القدماء، ومنهم افلاطون فرووا عنها وعن قومها الجبابرة عجائب غرائب كانت تتناقلها الالسنة في أيامهم بعد ان طُمس ذكرها قبل اجيال عديدة فغاصت في قعر البحار. وقد كثرت مزاعم المحدثين عنها فمنهم من ينكر وجودها ومنهم من يؤكدهُ وقد اختلفوا عن موقعها والمظنون أنها كانت قطعة من اميركا. وها هوذا الكاهن مورو مدير مرصد بورج الفلكي في فرنسة قد عاد الى البحث عن تلك الجزيرة فاختصر ما قالهُ فيها التاريخ والعلماء وأبدى هو برأيهِ فيها ونظمَ كتابهُ في مجموع مطبوعات عنوانها «عجائب الكون»

CATALOGUS CODICUM LATINORUM MEDII ÆVI BIBLIOTHECÆ HAFNIENSIS digessit **E. Jorgensen**. Fasc. 1, in-8, Hafniæ, 1923, pp. 240

مخطوطات مكتبة كوبنهاغن اللاتينيَّة الراقية الى القرون المتوسّطة

مكتبة كوبنهاغن الملكيَّة من المكاتب المعتبرة الحاوية مخطوطات نفيسة منها شرقيَّة طُبع وصفها سابقاً ومنها غربيَّة. وها قد انجز احد علمائها جرجنسن وصف القسم الاوَّل من مخطوطاتها اللاتينيَّة التي تجاري بمحاسنها مكاتب اوربَّة الكبرى. وقد قسمها المؤلف على حسب مواضيعها على تسعة اقسام في موادَّ وآثار دينيَّة شتى كالاسفار المقدَّسة واعمال الآباء والتاريخ الكنسي والطقسيَّات الخ وهي لا تقلّ عن بضعة آلاف تتبَّع كلَّ مضامينها مفصَّلًا بحيث يحيط الباحث علماً على كلّ فوائدها ل. ش

ROBERT VALLERY-RADOT: **La Terre de Vision**, récit d'un Pélerin. *1 vol. in-16*, *Paris*, 1924, *Perrin et Cie Editeurs*, *Prix* 7f, 50

ارض الرؤية

هكذا عنونَ كتابهُ المؤلف وهو احد السيَّاح الذي قدم الى بلادنا بعد الحرب الكونيَّة فزار مصر وفلسطين والشام فوصف ما رآهُ فيها وصفاً فكهاً جمع فيهِ بين

الهزل والجد فاستقرى الآثار وروى الاخبار واتّسع خصوصاً في تعريف الاخلاق والعادات فكأن الشرق تجلّى لهُ بصورة رؤية خياليّة سلبت عقلهُ فأراد ان ينشر في وطنه تأثير تلك المشاهد في نفسهِ فأجاد ل . ش

Le Latin. Dix Causeries par J. Marouzeau. *Toulouse, la bonne Presse, Paris, H. Didier*, 1923

عشر محاضرات في درس اللاتينيّة

لمّا عادت المعارف الفرنساويّة قبل سنتين الى تعزيز اللاتينيّة في مدارس الدولة نشر المسيو ماروزو هذه المحاضرات ليبيّن فيها لتلامذة مدارس البيان والخطابة منافع درس هذه اللغة الشريفة فيشوّق اليهم درسها . فترى في كلامهِ ما تفرّدت بهِ هذه اللغة وما يوجد فيها من العلاقة مع اللغة الفرنسويّة المشتقّة منها بحيث لا يبلغ الفرنسوي إحكام لغتهِ الّا بمعرفة اللاتينيّة . ومن قولهِ في درسها انّهُ لذيذٌ ممتع اذا انزل الدارس نفسهُ في نفس الكتبة الذين يدرسهم فيحيا بافكارهم واحوالهم وتمدُّنهم ويعيش بوجدانهم فيستحبُّ درسَ كتبهم ويستسهل مشاكلها . وممَّا يعرضهُ الكاتب على الدارسين لتشويقهم ان يهملوا التعمُّق في درس قواعد اللغة ولا يُعنَوا بالترجمة الافرنسيَّة الى اللاتينيَّة بل يكتفوا بنقل اللاتينيَّة الى الافرنسيَّة زاعماً ان « الطريقة الاولى عقيمة يستعملها اليسوعيُّون في مدارسهم » لكنَّهُ قد وهَم في قولهِ هذا فانَّ درس اللغات لا بُدَّ لمن يشاء اتقانها من درس قواعدها والنقل منها واليها . وكفى دليلًا على ذلك انَّ تلامذة اليسوعيين كانوا دائماً في مقدَّمة العارفين بتلك اللغة يجيدون فيها الكتابة بل ينطقون بها بطلاقة فلمَّا أُهملت طريقتهم التعليميَّة كادت اللاتينيَّة تضمحلّ وتتلاشى في المدارس » الاب كسانتاكيس

Aimel (Georges) : La Politique et le réel, 1 *vol. in*-16, *Paris, B. Grasset*, 1913, *Prix* 6 f, 75

السياسة وحقيقة الامور

هذا نظر اجماليّ في امر اجتماعي مهمّ . ما هو القسم الراجع الى السياسة في حياة الامم وما هو القسم العائد الى حقيقة الامور الجارية . فانَّ قسم السياسة محصور في ارباب الامر غايتهم تدبير شؤون الامَّة واحوالها داخلًا وخارجاً . الّا ان هذه الغاية

تحتاج الى من ينفّذ قوانينها بالعمل في افراد الملّة . فمن تُرى يقوم بذلك ؟ . فعلى رأي المؤلف انّ هذا القسم هو حصّة الجمهور طبقاً لمبادئ الجمهوريَّات . ولكن هيهات ان يقوى الجمهور على ذلك ما لم يرشدهُ الخاصّة ويكبحوا جماحهُ . فترى انّ رأي الكاتب لا يثبت امام بصر العقل

P. Choisnard. Les probabilités en science d'observation. 1 *vol. in*-12, *Paris*, *Alcan*, 1923, *Prix* 8f

الاحكام الترجيحيّة في علم المراقبة

انّ علوماً كالرياضيَّات هي مبنيّة على مبادئ راهنة ثابتة لا تلتجئ الى حساب الترجيحات . وبخلاف ذلك علوم أُخرى عديدة كالطبيعيَّات والفلكيَّات والطب وغيرها لا يمكنها الّا نادرًا ان يبتّ المرء فيها حكماً ويثبتهُ على قواعد راسخة لا تتزعزع . فالعلماء في تلك الاحوال يحصون ما يمكنهم تعدادهُ من الترجيحات فانّ رأوها مستندة الى دلائل كافية جروا عليها . وعلى هذا المنوال قد بلغ العلماء الى اكتشافات مهمّة مهّدت السبيل لمعرفة حقائق مقرَّرة . ومن اهمل ذلك جار عن طريق الصواب

Bibliothèques Publiques. Traité thèorique et pratique, par J. Van Meel, 1 *vol*. 8° *illustré*, *Anvers*, VERITAS, 1924

المكاتب العمومية

بين العلوم المستجدّة في عصرنا علم ضبط المكاتب العموميَّة لتصبح في كلّ موضع آلة سهلة المعالجة ليستطيع الأدباء ان ينتفعوا منها . فمؤلف هذا الكتاب قد أحسن إحساناً تامّاً بوضعه لهُ . فانهُ قد فحص كل ما تحتاج اليهِ خزائن الكتب من ابنية وحُجَر وتنظيم الكتب وتدوين اعلامها بحيث ينالها طالبها بسرعة وتخفّ مؤونتها على مأموري المكتبة . وكذلك يدلّ على الوسائط لسلامة الكتب من الحريق والرطوبة والعث وغير ذلك ممّا لا بدّ منهُ لحفظها

ج . ل

شهر التكريم لدم الفادي الكريم

تأليف الاب هالز عرّبهُ القس الياس بكيفاوي

طُبع في مطبعة الاجتهاد في بيروت سنة ١٩٢٤ (ص ١٧٣)

انّ العبادة لدم السيد المسيح من اشرف العبادات الخاصّة بشخصهِ الكريم

كالعبادة الى صليبهِ والى قلبهِ الاقدس . وهذا الدم الثمين قد اهرقهُ الربّ مرارًا في حياتهِ باشر بسفكهِ يوم ختانتهِ ثمَّ في نزاعهِ في بستان الزيتون وفي يوم آلامهِ . ونقطةٌ منهُ كافية لتطهّر خطايا العالم وتكفّر عن ذنوب اكبر الأثمة . فلذلك قد خصَّت الكنيسة لذكرهِ اليوم الاول من شهر تموز واخذ كثيرون يكرمونهُ في كلّ ايام ذلك الشهر والكتاب الذي نحن بصددهِ وضعهُ احد الكهنة الاب هالز لهذه الغاية . فدفعت حضرة القس الياس بكيفاوي همّتهُ لينقل الكتاب الى العربيَّة فتغتذي النفوس الصالحة بتأمّلاتهِ وصلواتهِ اليوميَّة . فنحضّ كلّ النفوس التقيَّة ولاسيما الرهبان على اقتنائهِ
ل . ش

تاريخ الرهبانيَّة اللبنانيَّة المارونيَّة

تأليف الاب لويس بليبل الراهب البلدي اللبناني

المجلَّد الاوَّل . طُبع في مصر سنة ١٩٢٤ (ص ٤٦٤ + ذيل ٦٠)

يسرُّنا ان نعلن بصدور المجلَّد الاوَّل من هذا التاريخ الكبير المتضمن لاخبار باكورة الرهبانيَّات المنظَّمة في لبنان . وما كنَّا لنتالك اندهالًا من سعة العمل لولا معرفتنا بمقدرة مؤلفهِ حضرة الاب لويس بليبل الذي تدلُّ صورتهُ في صدر الكتاب على نشاطهِ وطول باعهِ . فانهُ طاف في كل اديرة رهبانيَّتهِ الكريمة ونقَّب في كلّ المكاتب الخاصَّة فجمع آثارًا لا تُحصى نشرها في تاريخهِ هذا الذي يتناول اخبار الرهبانيَّة اللبنانيَّة البلديَّة منذ انشائها سنة ١٦٩٥ الى السنة ١٧٤٤ يتتبَّع حضرتهُ تاريخ السنين فيصف ما جرى في كلّ عام نقلًا عن سجلَّات الرهبنة . ويضيف اليها معلومات عديدة يستفاد منها فوائد جليلة لتاريخ الطائفة المارونيَّة بل لتاريخ سائر لبنان اخصُّها كتابات الرئيس العام توما اللُّبودي ورسالات عديدة لبطاركة واساقفة وكهنة تميط القناع عن عدَّة امور مجهولة او ملتبسة . ولا يأنف حضرتهُ صيانةً لحقوق التاريخ من ايراد نفس الآثار التي تكشف عن الضعف البشري وسوء التصرُّف في بعض الذوات . وان سمح لنا حضرتهُ عرضنا عليهِ بعض الملحوظات لعلَّهُ يجد فيها فائدة لتحسين عملهِ . انَّ كثرة موادّ الكتاب المرصوصة في صفحاتهِ تُعسِّر الوقوف

على مضامينهِ فيا ليت المؤلف وضع في اوَّل كلّ فصل من فصولهِ خلاصة محتوياتهِ في قلب الكتاب وفي فهارسهِ - انَّ الذيل الذي وضعهُ حضرتهُ في آخر هذا الجزء لا علاقة لهُ مع تاريخ الرهبانيَّة فكان الاولى إهماله وليس فيهِ شيء جديد عن الطائفة المارونيَّة الّا مرَّ في كتب عديدة كالحاماة وغيرها - الفهرس الاخير (٤٣٦-٤٦٠) يحتاج الى توسيع وتحسين - نسبة حضرتهِ (ص٩) الى القديس مرقس تأسيس الطريقة الرهبانيَّة لا سند ثابت لـهُ - قد تشوَّهت بعض اسماء الاعلام الغربيَّة كالكردينـال زناردلّي والاب اليسوعي مرقس سيغوران وغيرهما . ولعلَّ بعض الحواشي والتذييـلات كان الافضل وضعها في آخر الكتاب. وقد استحسنَّا الابحاث الثلاثة عشر (٣٩٧-٤٣١) التي نشرها هناك فانَّها تعرّف الرهبنة واشغالها ومساعيها الصالحة وخدمها للدين والوطن

كتاب اللاهوت النظري

تأليف الخوري الياس الجميّل (الجزءان الثاني والرابع)
طُبعا في بيروت سنة ١٩٢٣ (ص ٤٩ و ٣١)

قد مرَّ لنا وصف بقيَّة الاجزاء من هذا المجموع اللاهوتي المدرسيّ فبيَّنا ما لـهُ من المحاسن وحرَّضنا المدارس الاكليريكيَّة على اتّخاذهِ دستورًا لتعليم الـلاهوت . وهذان الجزءان مع صغر حجمهما يبحثان عن امور جليلة اي الايمان والتقليد والكتاب المقدَّس . ففي جزء الايمان يبيّن المؤلف حسنًا انَّ ايماننا ليس هو اعمى بل يستنـد الى مقدَّمات صادقة واضحة تجعلهُ معقولًا جديرًا بكل ثناء مع بقائه حُرًّا فيُنثـاب على قبولهِ الانسان . وهناك ايضاً فصلٌ حسن عن الموافقة بين الايمان ونور العقل لانَّ كليهما من الله مصدر كلّ حقّ . امَّا جزء التقليد والكتاب المقدَّس ففيهِ من المباحث المعتبرة التي تفنّد كلَّ مزاعم البروتستانت من هذا القبيـل . فنكرّر شكرنا لحضرة المؤلف على عملهِ هذا الذي خدم بهِ الاكليروس الوطنيّ اجلّ خدمة ل . ش

تاريخ الطبّ عند الامم القديمة والحديثة

محاضرة للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف اللبناني

طُبع في دمشق (ص ٥٥)

انَّ صديقنا عيسى افندي اسكندر المعلوف صاحب مجلَّة الآثار وعضو المجمع

العلميّ العربي بدمشق كثير التفنّن في مقالاتهِ اذا تناول موضوعاً كساهُ ثوباً قشيباً من قلمهِ السيَّال واخرجهُ على صورة جامعة بين الافادة واللذَّة. فهذه محاضرة اولى لهُ عن تاريخ الطبّ القاها في المعهد الطبي الدمشقي فحسبهُ سامعوها انهُ احد تلامذة بقراط لما اودعها من المعلومات عن هذا الفنّ الراقي وكاني بهم منحوهُ لقب "دكتور" شرفاً. وعلى كلّ حال انهم سيجدون في محاضرتهِ ما يزيدهم رغبةً في درس الطبابة التي بيَّن شرفها في خطابهِ البليغ

حكم الفلاسفة

جمع وتعريب بباوى غالي الدويري

طُبع في مطبعة التجارة الكبرى في مصر سنة ١٩٢٤ (ص ١٢٨)

هذه الحكم مجموعة من كتب مختلفة قسَّمها جامعها على حسب معانيها الى نحو مئة باب ودلّ في اثر كل حكمة على قائلها. ولا يستحقّ اصحابها الّا القليل منهم اسم الفلاسفة فهيهات ان يُنظَم بين الفلاسفة جورج سند واسكندر ديماس وروسو وتولستوي وماري كورلي الخ. ومن ثمَّ تجد كثيرًا من هذه الحكم لا توافق مبادئ الحكماء الصحيحة فيجب الانتباه. كفى بذكر اوَّل حكمة انتخبها من ملتون: «مَن أعدم كتاباً مفيدًا فكأنهُ قتل رجلًا. من يقتل رجلًا يقتل مخلوقاً عاقلًا هو صورة الله واما من اعدم كتاباً نافعاً فقد قتل العقل نفسه» فالمبالغة ظاهرة من هذا الكلام ل. ش

سعادة الحياة: او «اعملوا ما دام لكم النور»

تأليف الفيلسوف الروسيّ الكونت لاون تولستوي

تعريب بباوى غالي الدويري في المطبعة عينها (ص ١٢٠)

لاون تولستوي احد ارباب الثورة الذي هيَّج الشعب الروسيّ بتعاليمهِ الاشتراكيَّة على السلطتين الدينيَّة والمدنيَّة وقد انخدع معرّبُ هذا الكتاب ببهرجة كلامهِ لما وجد فيهِ من آيات الانجيل وغيرها التي يفسّرها تولستوي على هواه. فما ابعدهُ عن الحقيقة بقولهِ في اوَّل كتابهِ «ان تولستوي بشر ولكنهُ فوق البشريَّة» فقد ادَّى الكبرياء

بتولستوي الى ان يُعدّ نفسهُ مصلحاً كبيراً لكنهُ مات بعد ان مهّد الطريق للفوضى والبولشفيَّة
ل ٠ ش

مبادئ العربيَّة في الصرف والنحو

للمعلم رشيد الشرتوني

تمارين السنة الثالثة : كتاب المعلم

قد رأت ادارة مطبعتنا الكاثوليكية ان الحاجة اصبحت ماسّة الى كتاب يستعين بهِ الاستاذ على اصلاح ما ورد في التمارين التي اضافها فقيد اللغة العربية رشيد الشرتوني، رحمه الله، الى تأليفه « مبادئ العربيــة » فعمدَت الى طبع كتاب للمعلم أودع الاجوبة على كل ما طُلب من التلميذ من اصلاح واعراب او حلّ سؤال. وقد يغني هذا الكتاب عن المعلم اذا لم يحظَ الدارس باستاذ ماهر يرشده الى الخطأ وطرق اصلاحه. عسى ان تتم بهِ منية الذين اعربوا عن رغبتهم في وضعه فيكونوا ونكون نلنا المرام. جعل الله بهِ الفائدة المبتغاة والسلام
ب ٠ غ

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ً خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت عن السنة ١٩٢٣ وهي السنة الرابعة والثلثون لتأسيسها . طُبعت في مطبعة صادر سنة ١٩٢٤ (ص ٣٤)

٢ً انباء الزمان في جثالقة المشرق ومفارنة السريان تأليف القس اسحاق ارملة السرياني الكاثوليكي . في المطبعة الكاثوليكيَّة سنة ١٩٢٤ (ص ٥٨) هي المقالة التي ظهرت في عدّة اعداد سابقة من مجلّة المشرق

٣ً كشف الظنون طبعت في فلسطين سنة ١٩٢٤ (ص ١٥)

٤ً اميرة العفاف . رواية تمثيليَّة بقلم عيسى ميخائيل سابا . طبعت في مطبعة قوزما سنة ١٩٢٤ (ص ٦٠)

٥ً الكلمة : جريدة شهريَّة وضعها حضرة الاب بولس قوشاقجي الارمني الكاثوليكي في حلب من اجل الايتام والاولاد اللقطاء

شذرات

❊ انتقادنا على الريحانيَّات ❊ علّقت جريدة الاحرار فصلاً على انتقادنا لريحانيَّات

امين الريحاني فتشبثت ببعض القشريات وعرضت عن الجوهريات. فمن انتقادها قولها «اننا حرّفنا الحمّار بالحمار» في نص الريحانيات حيث يقول «سمعت حمارها وفلاحها وشريفها يتغنّون ب اندلشيا». فما لهُ لم يدفع الالتباس بتشكيل «حمارها» وكلّنا يعلم «نهفات» الريحاني وتسميماته ولاسيّما حبّهُ «للحمار» الذي جعلهُ ممثّلاً لاحد ادوارهِ في كتابهِ السمج «المحالفات الثلاثيّة»

ثمّ قال «اننا استنتجنا من تبجيل الريحاني للاسلام انهُ يبغض النصارى.. وهما انّ لهُ في المسيح ومبادئه السامية اقوال لن يستطيع اكبر متديّن ان يأتي بمثلها».

نجيب اننا لم نستنتج من تبجيلهِ للاسلام بغضهُ للنصارى. بل استنتجنا من كلامهِ ازدراءهُ لكل دين فاذا مدح في مكان قدح في مكان آخر وبغضهُ للاديان عموماً يلوح من كلّ كتاباتهِ وخطبهِ. وكذلك ليس مدحهُ للسيد المسيح الّا تدليساً وبذاءة وقد احالنا الكاتب الى الريحانيات ١ : ١١١—١١٢) وهناك فصل كلّهُ خباثة ورذالة جاء فيهِ :

« اذا كان اليهود قد صلبوا المسيح بالجسد منذ تسعة عشر قرناً فالمسيحيون الذين يفاخرون الشعوب بمسيحهم يصلبونهُ بالروح كل اسبوع بل كل يوم ولعمر الحقّ انّ من يعبدون المسيح يزلمونهُ وكل صلاة تصعد من فم المسيحيين ابناء هذا الجيل هي مسمار في صليب المسيح كل تضرُّع من تضرُّعاتهم هو اكليل شوك على رأس سيّدهم. نعم المسيحيّة في حالتها الحاضرة لمدوّة المسيح انّ يسوع وكنيستهُ على طرفي نقيض (كذا) . . .

وكلّ الفصل على هذه الشاكلة فهذا ما عدّهُ منتقد الاحرار «قولاً لن يستطيع اكبر متديّن أن يأتي بمثلهِ» وكان الاولى بهِ ان يسكت عنهُ فلا يسوّد بهِ وجههُ. فانّ لا زنديق ولا كافر رشق السيد المسيح بكلام اشنع ممّا كتبهُ في حقهِ الريحاني في كتابهِ «المحالفة الثلاثيّة» فغطّ قلمهُ بالسرقين وخطّ بهِ ما لا يخطّهُ الّا الابالسة فمسخ كلّ اسرار النصرانيّة وجعل الحبل بالمسيح على خلاف ما يعتقدهُ النصارى والمسلمون بل ما يترفّع عن ذكرهِ كلّ انسان اديب (ص ١٠٥—١٠٧) فما اصدق ما كتبهُ عن هذا الكتاب ذوو الضمير والوجدان :

قال ضومط فاعور : من يكتب هذا يجب ان يُساق الى بيمارستان
قال نقولا عوض : كاتب هذا الكتاب يلزمهُ طبيب يفحص دماغهُ

قال الشيخ فيليب نصّار : ملعون ملعون كل من يقرأ او يكتب مثل هذا الكتاب

قال شكري النريّب : لو كان السوريّون ذوي حماسة حقيقيّة لأقرأوا الكاتب والطابع مقالة حسيّة تعلّمهما كيف يُجينان العذراء او المسيح

طبيب سوري : يجب طرد هذا الكتاب عن طاولة كل اديب كما طرد المسيح اللصوص

يوسف الحداري : لو عرف الحمار والثعلب بما يقول باساخما هـذا المخلوق الساقط لجاءت حوافرهما يبرهنان على انَّ احقر الحيوان اسمى من كذا انسان

رزق شمس : الذي يزلّ به اللسان كالريحاني يحوي خذوه عالج . . . (المرحاض)

وآخر ما كتبهُ المنتقد انَّنا اقتضبنا كلام الريحاني وغيّرنا معنى قوله « كلب كوفي خير من الف صوفي » . فالجواب واضح انَّ مثلًا كهـذا وان قُيّد بشروط لا ينفي سماجتهُ فلا يليق بكاتب اديب ان يسوّد بهِ صفحات كتابهِ والسلام

﴿ ارتداد هَنس هرتسل الى الكثلكة ﴾ لَّما كتبنا في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٦٦٨—٦٧٨) مقالتنا في الصهيونيَّة بيَّنَّا انَّ اكبر انصار هذه الدعوة كان المَجريّ تاودور هرتسل المولود في المجر سنة ١٨٦٠ والمتوفّى سنة ١٩٠٤ . وها انَّ الانباء البرقيَّة والصُّحف الباريسيَّة اليهوديَّة وغيرها قد نشرت ارتداد ابن ذلك الزعيم المسمَّى هَنس هرتسل قد ارتدَّ الى الكثلكة في عاصمة النمسة على يد كاهن وُلد ايضاً في الملّة الاسرائيليَّة ثمَّ دان بالكثلكة وهو الاب شلايسنغر فأقنع هنس بصحَّة مجيء السيد المسيح وبلاهوتهِ وحقيقة دينهِ ثمَّ عمَّدهُ في كنيسة الدومنيكان في فيّنة وذلك في ٢٠ تموز الاخير وهو الموافق لليوم الثاني بعد تذكار وفاة والدهِ السنوي الذي احتفل بهِ الصهيونيُّون احتفالًا عظيماً في كلّ المعمور . فسبحان الذي ينير بصر العميان ويُلين القلب الصوّان

﴿ مستشفى السرطان ﴾ نبشّر القرّاء بقرب اعداد بناية جديـدة في مستشفى المكتب الطبي الجديد لمعالجة ذاك الـداء الفتّاك داء السرطان الذي اخذ ينتشر في هذه البلاد . وسيجهّز المعهد الجديد بكل الادوات والطرق العلاجيَّة الحديثة التي توفّق اليها اركان علم الطب ولاسيما بالاجسام المشعَّة كالراديوم واشباهه . وهذه حسنة جديدة للدولة المنتدبة التي لا ترى داء الَّا تسعى في علاجهِ ولا خللًا الَّا تطلب سدَّهُ جعلها الله نصيرة لكل ضعيف ومنعشة لكل لهيف

﴿مرشد الامير بشير الشهابي﴾ ذكرهُ جناب الشيخ سليم الدحداح في مقالته الجميلة عن هذا الامير (ص ٥٧٢) وغفل عن ذكر اسمهِ. وهو احد افاضل الاسرة الحبيشيَّة «الخوري اسطفان حبيش من مشائخ غزير» كما افادنا حضرة القس فيلبس حنَّا واكد حبيش قال: «وكان هذا المرشد معروفاً بفطنتهِ ودرايتهِ وتقواه ولهُ نوادر تُذكر مع الامير بالاستانة فانهُ مرَّاتٍ عديدة كان يسكّن جأش الامير كلَّما طرأ عليهِ حادث مكدّر بعبارات تقويَّة يتحدَّث بها الناس حتى الآن. وهو الذي عاد الى لبنان مع امرأة الامير الشركسيَّة وبقي ملازماً خدمتها حتى ادركتهُ الوفاة في دارها في قرية الجيَّة ودُفن فيها»

﴿عقليَّة الحيوان المزعومة﴾ قرأنا في مجلَّة «المشرق والغرب» المصريَّة فصلاً عنوانهُ «اكتشاف في الانسان: الانتباه الروحي» معرَّبة عن الانكليزيَّة بقلم واصف عبد الملك فيها التباس ظاهر فانَّ الكاتب يميّز بين العقليَّة والانتباه الروحي. فيزعم انَّ العقليَّة موجودة في الحيوان كما في الانسان وانَّما يمتاز الانسان بالانتباه الروحي. وهو تمييز باطل فليس الانتباه الروحي اي الفكر سوى احد اعمال العقل يلازمهُ حيثما هو موجود. امَّا الحيوان فلا عقليَّة لهُ البتَّة وانَّما لهُ خواصّ واخلاق غريزيَّة طبعها فيهِ الخالق يستخدمها لحفظ كيانهِ وجنسهِ ولا تتجاوز القوَّة الوهميَّة مهما ظهر فيهِ من اعمال الدالَّة على ذكاء ونباهة كما في الكلب وغيرهِ

﴿آخر العالم في خريف سنة ١٩٢٥﴾ هي البشرى التي نشرها للعموم في بيروت «فرع جمعيَّة تلامذة التوراة» البروتستانيَّة يدَّعي اصحابها انَّ العالم سينتهي في السنة المقبلة وهم يبنون قولهم على بعض آيات الكتاب المقدَّس المشبوهة التي طالما انخدع بتفسيرها الباحثون. وهذه نتيجة المبدأ البروتستاني في «حرّيَّة البحث» تؤدي بهم الى اختراعات دينيَّة غريبة وكلُّهم يسندون آراءهم الى الكتاب المقدَّس وكفى بذلك دليلاً عن ان التوراة وحدها ليست دستوراً كافياً كما يزعم البروتستانت. فلا بُدَّ من كنيسة شرعيَّة معصومة عن الغلط تهدي البشر وترشدهم. نعم انَّنا نريد انَّ البشر يتوبون ويستعدُّون لمجيء الربّ: امَّا اليوم والساعة فاحد اسرار الله التي لم يوحها للعالم. وليست هذه مرَّة اولى نشر فيها بعض المتهوّسين من البروتستانت اخباراً كاذبة كهذه مرَّ زمانها وثبت بطلانها

أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة القس يوسف حبيقة متى امر الآباء ان لا يبطل القداس في الآحاد والاعياد والاصوام والاربعاء والجمعة ومتى زال هذا الامر (منارة الاقداس للدويهي ١ : ٢٧٦)

التقديس في الآحاد والاعياد والاصوام

ج انّ امر الآباء باقامة الذبيحة في الآحاد يرتقي الى عهد الرسل فانّ القديس يوحنا في سفر الرؤيا (١ : ٩–١١) يدعو الاحد يوم الربّ ويصف القديس يوستينوس في القرن الثاني للمسيح ما يجري فيه من الاسرار. وفي اواخر القرن الثاني واوائل الثالث عُدَّ يوم الاربعاء والجمعة كيومي إماتة وصوم الاوّل ذكرًا لبيع يوداس سيدهُ لليهود والثاني ذكرًا لآلامه فكانت الذبيحة الطاهرة تقدَّم فيها ومثلها الصوم الاربعيني استعدادًا للفصح. أمّا الاعياد المتنقلة كالميلاد والغطاس فصارت تقدمة الذبيحة فيها تدريجًا في بعض الكنائس الى ان عمَّ الاحتفال بها. وكذلك زوال هذا الامر لم يقع في زمن واحد بل بطل بالتدريج ما عدا الآحاد والاعياد. يجد السائل بحثًا واسعًا في هذه العادات الكنسيَّة في معجم الآثار النصرانيَّة والليتورجيَّات Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie في الفصل المعنون Fêtes chrétiennes

س وسأل حضرة القس بولس ابي نادر رئيس دير سيّدة مشموشة : ١ً هل يسمع قداسًا واحدًا او ثلثة قداديس من يحضر قداس ثلثة كهنة يقدّسون على مذبح واحد ؟ ٢ً لماذا لم يذكر القديس بولس برسائله العذراء مريم . ٣ً لماذا يقال لقانون المجمع النيقاوي قانون الايمان مع كونهِ لم يحتوِ كلّ العقائد المسيحيَّة والاسرار الجوهريَّة

استماع قدّاس ثلثة كهنة – ذكر العذراء مريم في رسائل القديس بولس – قانون المجمع النيقاوي

ج الجواب على (الاوّل) لا شك في انّ القداس الذي يتلوهُ ثلثة كهنة على مذبح واحد هو قداس فردٌ فمن يحضرهُ لا يحضر الّا قداسًا واحدًا. وعلى (الثاني) انّ القديس بولس لم يُحِطْ بكل تعاليم الكنيسة فلم يجد داعيًا الى ذكر البتول . لا بل ذكرها في رسالتهِ الى اهل غلطية وخصَّها بكونها امّ الله حيث قال : « ولمّا بلغ

مِلْء الزمان ارسل الله ابنهُ مولودًا من امرأة مولودًا تحت الناموس» . نجيب (على الثالث) انَّ قوانين الايمان تختلف كثيرًا بالطول والقصر وبالايضاح والاختصار وقد اكتفى المجمع النيقاوي بذكر اخصّ قضايا الايمان لاسيما التي كان ينكرها الهراطقة في زمانهِ . وفي الكنيسة قوانين ايمان اطول كقانون القديس اثناسيوس والقانون الذي يتلوهُ الاساقفة يوم تسقيفهم والقانون الذي يُفرَض على المرتدّين الى الايمان

س وسأل الاديب عبده افندي نخات : هل من علاج يزيل المادَّة الدهنيَّة من العظم؟

ازالة المادَّة الدهنيَّة من العظم

ج افضل دواء لهذا الداء : ١ً شرب مياه ڤيشي او ڤولو المعدنيَّة او مياه عين ڤالوغا ان تيسَّرت . ٢ً الامتناع عن الاشربة الكحوليَّة الروحيَّة واكل اللحوم لاسيَّما لحم الخراف . ٣ً الاغتذاء بالخُضَر وبالمآكل القَلَويَّة

س وسأل من النبك الاديب اسعد افندي نصرالله : لو حكم الاطبَّاء على مريض بقطع رجلهِ او بعض اعضائهِ نجاةً من الموت وفضَّل المريض الموت على هذا البَتر أَيُعَدّ عملهُ انتحارًا؟

أيُعَدّ انتحارًا تفضيل المرء الموت على قطع رجلهِ ؟

ج كلَّا ليس هذا انتحارًا اذ لا يضع المريض باختيارهِ فعلًا يؤدي بهِ الى الموت توًّا وانَّما يجد في ألم قطع رجلهِ وما سينتج لهُ عنهُ من المشقَّات ما يعتبرهُ اشدَّ من الموت فيسلّم نفسهُ لمشيئة الله

س وسأل ايضًا : أصحيح ما يرويهِ بعض الكتبة عن مظالم القرون الوسطى وانحطاط الاكليروس في تلك الاحقاب

مظالم القرون الوسطى

ج ليس من دهر الَّا لهُ حسناتُهُ وسيئاتهُ ولعلَّ حسنات القرون الوسطى تغلب كثيرًا على سيئاتهِ كما يثبت ذلك حاضرًا كثيرون من الكتبة المنصفين ردًّا على بعض الغُلاة من ذوي الغايات الذين غالَوا في تعظيم بعض مآثم القرون الوسطى وسوء تصرُّف بعض الاكليروس ليحطّوا من مفاخر الدين الذي ساد روحهُ في تلك العصور ل . ش